3me Année, No. 116. — Lundi-23-9-1935

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثالثة « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ جمادى الثانية سنة ١٣٥٤ — ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٣٥ » العـــدد ١١٦

فهرس العـــــدد

ملكة الجمال

للدكتور عبد الوهاب عزام

للأقلام عن تقضى عليها أن تسف إلى مالا تود الكتابة فيه ، وتكره على أن تخط ما تريد الترفع عنه . وقلمى مكره على الكتابة فى هذه الحماقات ، مرغم على أن يعنى بهذه الترهات

— ١ —

كنت أحادث جماعة من الأصدقاء ، فسارت بنا شجون الحديث إلى أن تكلمنا فى المدنية الحاضرة حسنها وقبيحها ، وجليلها وسفسافها . قلت : أحسب أن المسيطرين على أخلاق الناس فى كثير من مناحى المعيشة الحاضرة جماعة من التجار المفسدين . قال صديق : كيف ذلك ؟ قلت : فى طبع الانسان الكلف باللذات ، والاستهتار بالشهوات ، وقد سار العالم آلاف السنين على هدى التجاريب ، وتعليم الأنبياء والحكماء ، يزن آلامه ولذاته ، ويعدل بين مصالحه وشهواته ، ويضع شرائع ، ويسن سنناً ليعيش الانسان على شريعة تعرف وتنكر ، وتستحسن وتستقبح ، وتقول هذا حلال وهذا حرام ، حتى استقامت للانسان خطة فى سياسة نفسه ومعاملة الناس . وصار يجاهد نفسه ليمنعها لذاتها ، علماً بأن وراء اللذة العاجلة شراً أعظم منها ،

ويصبر نفسه على ما يكره ايثاراً للعافية فى العقبى ، واستمساكا بالفضيلة التى سكن اليها ، ومكنتها فى نفسه سيرة الآباء

قال صديق : هذا حق فما وراءه ؟ قلت : أرى العصر الحاضر مفتوناً كل الفتنة بالأهواء ، مستكلباً على الشهوات ، قد فتحت له من الملاهى أبواب ، ومدت له إلى الغىّ أسباب ؛ فشغلت من الحياة جانباً . هذه الملاهى والمراقص والحانات والمواخير . ورأى كثير من الناس هذه الدور مجلبة ربح عظيم ، ووسيلة مال وفير ، فأقبلوا عليها اقبالاً ، وافتنّوا فيها افتناناً ، واستماتوا على تزيينها وجلب الناس اليها بكل ما أنتجت الحضارة من علم وفن ، ولم يدعوا حيلة فى الاستهواء إلا اتخذوها ، ولا وسيلة الى تهافت الناس عليها إلا توسلوا بها . افتن كل فيما يعرض ، وتؤدى المنافسة والطمع فى المال إلى استباحة المحظورات ، فينظر الناس أول الأمر ثم يسكنون ، ويخدعون أنفسهم فيما يرون ، عما تصبو اليه غرائزهم وتغرم به شهواتهم حتى يصير هذا أمراً معروفاً وعملاً مألوفاً . ثم يحدوهم حب الربح والمنافسة إلى أن يثيروا شهوات الناس بأفانين أخرى وهلم جرا ، حتى لا يصدهم وازع من فضيلة أو عادة ، وعبثاً يحاول القانون أن يصد التيار ، أو يقيم الجرف المهار ، وهكذا تقاد الأمم بأذنابها ، وتأتمّ بضلالها . وقس يا صاحبى على هذا أزياء النساء . فتنافس التجار فيها هو الذى يطيلها ويقصرها ، ويطلع كل يوم ببدعة تبين عما دق من المرأة وجل ، وما ظهر وما بطن . ولست أجد بداً من ذكر الحقيقة « العارية » ، وهى أن النساء الخليعات هنّ القدوة فى هذه السبيل ، يلبسن ما يلفت النظر إليهن ، ويميزهن من غيرهن ، فيروق النساء الأخَر هذا الزى ، والمرأة لا تحب أن تُغلب فى زينتها وتجمّلها . فيصير هذا الخروج على السنن سنة مألوفة وطرافة (مودة) معروفة . وما ترى فى ألبسة البحر من تغير مستمر غايته أن تبرز المرأة عارية متزينة ؛ فهذه سبيله ، تبدأ به الخليعات الجريئات فتتهافت عليه الأخريات

ووراء هذا جماعة من تجار الكتاب ، والفسقة المفسدين ؛ يريدون أن ينالوا رغائبهم بشريعة ، ويفسدوا فى الأرض على علم فيكذبون على الجمال والفن والحرية ما شاءت مآربهم ، ويحرفون الكلم عن مواضعه ، ويسمون الرذائل بغير أسمائها ، فالفسق إعجاب بالجمال ، وكل خليعة فنانة ، وكل خليع أستاذ ، ويتنافس أصحاب المجلات فى كتابة ما تحبه النفوس المريضة ، وعرض الصور التى يهفو إليها الشبان ، لا يبالون فى سبيل المال أن تصلح الأمة أو تفسد ، وتعمل التجارة عملها حتى نجد الرجل الحريص على الفضيلة ، الداعى إليها إذا ابتلى بمجلة أغضى عن مفاسدها ، فصار له رأى فى نفسه ، وفى غير مجلته ، وعمل آخر تجارى فى المجلة . وقد عجبت لبعض الكتاب المعروفين بالغيرة على الأخلاق ، والتنديد بالخلاعة والمجون ، وبدع العصر الحاضر ، إذ رأيت المجلة التى يشرف عليها تنشر من الصور والكلام ما لا يلائم آراءه ، ويوافق مواعظه

— ٢ —

قال صديق : والشيء بالشيء يذكر ، وملكات الجمال ما ترى فيهن ؟ لقد سرت البدعة الينا ، قلت استمع : كنت فى الصيف الماضى ذاهباً إلى ايران فعرجت على لبنان أياماً . وبينا أنا فى ظهور الشوير ، رأيت الناس يزدحمون ، ويستبقون إلى بعض الفنادق وسمعت أن هذه الجموع وتلك الوفود تتزاحم لتشهد اختيار ملكة الجمال فى لبنان . قال رفيق لى : قد سرت العدوى إلى البلاد العربية ، فقلت غاضباً : كلا . قال ألست ترى وتسمع ؟ قلت لا أ كذبك ، لست أرى فى هذه الأزياء ولا أسمع فى هذه الرطانات عروبة ، فلا تعدّ هؤلاء من العرب

وقرأت منذ أيام أن ناساً اجتمعوا فى حمانا من لبنان لاختيار امرأة يسمونها ملكة الجمال ، وأن قنصل مصر ببيروت رأس هذا الجمع فأسفت أن شغل القنصل الفاضل نفسه بهذه السفاسف ، وشارك فى هذه المخازى . وقرأت عن انتخاب آخر فى بكفيا . وحمدت الله ، إذ لم أجد من المنتخبات اسماً يدل على عربية أو إسلام

وقرأت من بعد فى الجرائد عن حماقات كهذه فى الاسكندرية ، فرأيت الداعين إليها بين صاحب ملهى يريد أن يجذب الناس إليه ، وصاحب جريدة غير عربية يبغى رواج جريدته ، وأمثال هذين . وبعد قليل رأيت صورة الملكة وقرأت أحاديث عنها ، فعلمت أن فتاة اسمها شارلوت سماها بعض ذوى المآرب ملكة الجمال فى مصر ، ولقبوها مس إيجبت (Miss Egypt) ورشحوها للذهاب إلى بروكسل لتشارك فى مباراة الجمال . قلت شارلوت ليس اسماً مصرياً ، ومس إيجبت لا تعرفها مصر ، فما اهتمامك بجماعة من الحمق أرادوا أن يشهروا فتاة ، أو يشتهروا بها ، أو يتملقوا إليها ، أو ينالوا مالاً أو لهم مآرب أخرى . ثم تذكرت ما سطرت فى أول هذا المقال ، تذكرت أن زمام الأخلاق فى هذا

العصر بأيدى هذه الطغمات وأشباهها ، وأن هذا الذى نستنكره اليوم سيصبح إذا سكتنا عليه ، عادة تعد المجادلة فيها ضرباً من الأفن . وفكرت أن مس إيجيبت هذه ستذهب إلى أوربا باسم مصر ، وتشارك فى سوق الرقيق هناك ، وتبوء مصر بكل ما فى ذلك من عار وحماقة . فرأيت أن الأمر جدير بالاهتمام ، وأنه إن سكت عنه عقلاء الأمة صارسنة ، وظن المفسدون ، كا تسوّل لهم مآربهم ، أنها سُنة حسنة ينبغى ألا تحرم منها مدينة أو قرية ، وقد وفدت على مصر من قبل ملكة الجمال فى تركيا فلم يستح بعض الوقحين من طلبة الجامعة أن يقترحوا أن يحتفل بها فى نادى الجامعة . مَن مُبلغ عنا هـذه الفتاة ، أنا لا نعرفها ولا نعرف جمالها ولا ملكها ، وأن القحة البليغة أن تذهب إلى أوربا مدعية أن مصر أرسلتها ، ومصر بريئة منها وممن يرسلونها . ليت شعرى أرضى المصريون : الحكومة والأمة بهذه السبة . هل رضوا أن تنوب عنهم على رغم أنوفهم فتاة تذهب إلى بروكسل زاعمة أن مصر أرسلتها

كنت أحسب أن موقف مصر الحاضر بين دولة مستعبدة ، ودولة مهددة سيخرج بطلاً أو بطلة ، تهيب بالمصريين ليغسلوا العار ، ويحموا الديار ، أو نرسل وفداً يدفع عن حقوق مصر عند عصبة الأمم ؛ فاذا السفهاء فى شغل عما يحيط بهم باختيار امرأة يرسلونها إلى بروكسل !

وقد أجاب أهل دمشق داعى العروبة والكرامة والفضيلة ، فاجتمعوا حين سمعوا أن امرأة ستذهب إلى سوق الرقيق باسم سورية ، واستنكروا ذلك ، وأجمعوا على مطالبة الحكومة بأخذ الطريق على هذه السنة السيئة ، فأجابت الحكومة دعوة العقلاء ومنعت اجتماع السفهاء لاختيار ملكة للجمال ، وفى ذلك للمصريين وغيرهم أسوة حسنة

سيقول السفهاء : جماعة لا يعرفون الجمال ، ولا يقدرونه ، ولا يميزون الحسن من القبيح ، فهم ساخطون ثائرون . والله يعلم أن الجمال يُعبِّدُ قلوبنا ، ويملك مشاعرنا ، وتهفو اليه أفئدتنا حيثما تجلى فى السماء أو فى الأرض ، ولكننا لا نعرف الجمال فى الأسواق ، يصفق حوله الفساق ، ولا نعرف الجمال تسأل فيه الآراء ، وتعرض فيه المرأة كما تعرض الجداء

عبد الوهاب عزام

الجمال البائس

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

« وكيف يُشعبُ صدْعُ الحبِّ فى كَبِدى » . كيف يُشعبُ صدعُ الحب ؟

لَعَمْرى ما رأيتُ الجمالَ مرةً إلا كان عندى هو الألمَ فى أجمل صُوره وأبدعها ؛ أتُرانى مخلوقاً بجُرْح فى القلب ؟

ولا تكونُ المرأةُ جميلةً فى عينى إلا إذا أحسستُ حين أنظرُ اليها — أن فى نفسى شيئاً قد عرفها ، وأن فى عينيها الخطاباتِ موجَّهة إلىّ ، وإن لم تنظر هى إلىّ

فاثباتُ الجمال نفسَه لعينى ، أن يُثبتَ صداقتَه لروحى باللمْحة التى تدلّ وتتكلم ؛ تدلّ نفسى وتتكلم فى قلبى

* * *

كنت أجلس فى (اسكندرية) بين الضُّحى والظهر فى مكان على شاطىء البحر ، ومعى صديق الأستاذ (ح) من أفاضل رجال السلك السياسى ، وهو كاتب من ذوى الرأى ، له أدبٌ غضٌّ ونوادرُ وظرائفُ ؛ وفى قلبه إيمانٌ لا أعرف مثله فى مثله قد بلغ ماشاء اللهُ قوة وتمكنا ، حتى لأحسبُ أنه رجل من أولياء الله قد عوقب فحكم عليه أن يكون محامياً ، ثم زيد فى الحكم فجعل قاضياً ، ثم ضوعفت العقوبة فجعل سياسياً . . .

وهذا المكان ينقلب فى الليل مسرحاً ومرقصاً ومابينهما . . . فيتناوَى فيه الجمالُ والحب ، ويعرض الشيطانُ مصنوعاته فى الهزْل والرقص والغناء ، فاذا دخلتَه فى النهار رأيتَ نور النهار كأنه يغسله ويغسلك معه ؛ فتُحِسُّ للنور هناك عملاً فى نفسك

وتُرى المكانُ صدْراً من النهار كأنه نائم بعد سهر الليل ، فما تجيئه من ساعة بين الصبح والظهر إلا وجدته ساكناً هادئاً كالجسم المستثقِل نوماً ، ولهذا كنت كثيراً ما أكتب فيه ، بل لا أذهب اليه إلا للكتابة . فاذا كان الظهر أقبل نساءُ المسرح ومعهن من يطارحهن الأناشيدَ وألحانَها ، ومن يثقفهن فى الرقص ، ومن يُروِّيهن ما يمثلْنَ ، إلى غير ذلك مما ابتلتهن به الحياة لتساقطَ عليهن الليالِىَ بالموت ليلة بعد ليلة

ولكن إذا جئن ورأينني على تلك الحال من الكتابة والتفكير، فينصرفن إلى شأنهن، إلا واحدة كانت أجملهن. وأكثر هؤلاء المسكينات يظهرن لعين التأمل، كأن المرأة منهن مثلُ العنز التي كسر أحدُ قرنيها، فهي تحمل على رأسها علامةَ الضعف والذلة والنقص، ولو أن امرأة تتبدَّد حيناً فلا تكون شيئاً، وتجتمع حيناً فتكون مرة شيئاً مقلوباً، وأخرى شكلاً ناقصاً، وتارة هيئة مشوهة لكانت هي كل امرأة من هؤلاء المسكينات اللواتي عشين في المسرات إلى المخاوف، ويمشين عقدمات الموت، ويجدن في المال معنى الفقر، ويتلقَّينَ الكرامةَ فيها الاستهزاء، ثم لا يعرفن شاباً ولا رجلاً إلا وقعت عليهن من أجله لمنة أبٍ أو أم أو زوجة

* * *

وتلك الواحدةُ التي أومأتُ إليها كانت حزينةً مُتسلِّبةً[1] فكأنما جذَبها حزنُها إليّ، وكانت مفكِّرة فكأنما هداها إليّ فكرها، وكانت جميلةً فدلَّها عليّ الحب، وما أدرى والله أيُّ نفسينا بدأتْ فقالت للأخرى أهلاً ... ورأيتُها لا تصرف نظرها عني إلا لتردَّه إليّ ثم لا تردُّه إلا لتصرفَه، ثم رأيتها قد جال بها الغَزَلُ جولةً في معركته ... فتشاغلتُ عنها لا أُرِيها أني أنا الخصمُ الآخر في المعركة ...

بَيْدَ أني جعلتُ آخذُها في مَطارح النظر وأتأملها خِلْسةً بعد خِلْسةٍ في ثوبها الحريريّ الأسود، فاذا هو يَشُبُّ لونَها[2] فيجعلُه يتلألأ، ويُظهر وجهَها بلون البدر في تمِّه، ويُبديه لعينيّ أرقَّ من الورد تحت نور الفجر

ورأيت لها وجهاً فيه المرأةُ كلُّها باختصار، يُشرق على جسم بضٍّ ألْينَ من خَمْلِ النَّعام، تَعْرِضُ فيه الأنوثةُ فنَّها الكامل؛ فلو خُلق الدلالُ امرأةً لكانَتْها

وتلوح للرائي من بعيد كأنها وضعت في فمها (زِرَّ ورد) أحمرَ مُنفتحًا على نفسه. شفتان تكادُ ابتسامتُهما تكون نداءً لشفتيْ محب ظمآن

أما عيناها فما رأيتُ مثلَهما عينيْ امرأةٍ ولا ظَبْيةٍ؛ سوادُهما أشدُّ سواداً من عيون الظِّباء؛ وقد خُلِقَتا في هيئة

(١) يقال تسلبت المرأة إذا أحدت ولبست ثياب الحداد

(٢) أي يزيده ويظهره ويجعله أحفل بالجمال

تثبت وجودَ السِّحر وفعلَه في النفس؛ فيهما القوةُ الواثقةُ أنها النافذةُ الأمر، يُمازجُها حنانٌ أكثرُ مما في صدر أمٍّ على طفلها. وتمامُ الملاحةِ أنهما بهذا التكحيل، في هذه الهيئة، في هذا الوجه القمريّ

يا خالق هاتين العينين! سبحانك سبحانك!

* * *

قال الراوي:

وأتثاقلُ عنها أياماً، وطال ذلك مني وشقّ عليها، وكأني صغَّرتُ إليها نفسَها، وأرهقتُها بمعنى الخضوع، بَيْدَ أن كبرياءها التي أبتْ لها أن تُقْدِم، أبت عليها كذلك أن تنهزم

وأنا على كل أحوالي إنما أنظر إلى الجمال كما أستنشي العطرَ يكون مُتَضَوِّعاً في الهواء، لا أنا أستطيع أن أمسَّه ولا أحد يستطيع أن يقول أخذْتَ مني. ثم لا تدفعني إليه إلا فِطرةُ الشعر والإحساس الروحاني دون فطرة الشر والحيوانية[1]؛ ومتى أحسستُ جمالَ المرأة أحسستُ فيه بمعنيً أكبرَ من المرأة. أكبرَ منها؛ غير أنه هو منها

قال الراوي:

فاني لجالسٌ ذاتَ يوم وقد أقبلتُ على شأني من الكتابة وبإزائي فتى رَيِّقُ الشباب في العمر الذي ترى فيه الأعينُ بالحاسة والعاطفة أكثرَ مما ترى بالعقل والبصيرة، ناعمٌ أملدُ تمَّ شبابه ولم تتمَّ قوته كأنما نكصتْ الرجولةُ عنه إذ وافته فلم تجده رجلا .... أو تلك هي شيمةُ أهل الظرفِ والقصف من شبان اليوم، ترى الواحد منهم فتعرفُ التَّمخنثَ في ثيابه أكثر مما تعرفه في جسمه، وتأبى الطبيعةُ عليه أن يكون أنثى فيجاهدُ ليكون ضرْباً من الأنثى .... — إني لجالسٌ إذ وافت الحسناء فأومأتْ إلى الفتى بتحيتها، ثم ذهبت فاعتلتْ المنصّةَ مع الباقيات، ورقصت فأحسنت ما شاءت، وكأن في رقصها تعبيراً عن أهواء ونزَعات تريد إثارتَها في رجل ما .... فقلت لصاحبنا الأستاذ (ح): إن كلمة الرقص إنما هي استعارة على مثل هذا كما يستعيرون كلمة الحب لجمع المال. ولا رقص ولا حب إلا لفجور وطمع

(١) بسطنا هذا المعنى في المقدمة الثانية لكتابنا « أوراق الورد » وفي مواضع كثيرة من هذا الكتاب فلم نتوسع فيه هنا

ثم إنها فرغت من شأنها فرّت تتهادى حتى جاءت فجلست إلى الفتى . . . . فقال الأستاذ (ح) وكان قد ألمّ بما فى نفسها : أتراها جعلته ههنا عطة . . . ؟

قال الراوى : أما أنا فقلت فى نفسى لقد جاء الموضوع . . . . وإنى لفى حاجةٍ أشد الحاجة إلى مقالة من المكحولات ؛ فتفرغتُ لها أنظر ماذا تصنع ، وأنا أعلم أن مثل هذه قليلا ما يكون لها فكرٌ أو فلسفة ؛ غير أن الفكر والفلسفة والمعانى كلها تكون فى نظرها وابتساماتها وعلى جسمها كله

* * *

وكان فتاها قد وضع طربوشه على يده ؛ فقد انتهينا إلى عهد دَرَجَ حكمُ الطربوش فيه على رأس الشاب الجميل ، كحكم البرقع على وجه الفتاة الجميلة . . . . فأسفر ذاك من طربوشه وأسفرت هذه من نقابها . قال الراوى : فما جلستْ إلى الفتى حتى أدنتْ رأسها من الطربوش ، فاستنامتْ إليه ، فألصقت به خدّها . . . .

ثم التفتت إلينا التفاتةَ الخِشْف المذعور استروَحَ السَّبع[1] ووجد مقدّماته فى الهواء ، ثم أرخت عينيها فى حياء لا يستحى . . . .

وأنشأت تتكلم وهى فى ذلك تسارقنا النظرَ كأن فى ناحيتنا بعضَ معانى كلامها . . . .

ثم لا أدرى ما الذى تضاحكتْ له ، غير أن ضحكتها انشقتْ نصفين رأينا نحن أجملهما فى ثغرها . . . .

ثم تزعزعتْ فى كرسيها كأنما تَهُمُّ أن تنقلب لتمتدَّ إليها يدٌ فتُمسكها أن تنقلب . . . .

ثم تساندتْ على نفسها كالمريضة الناعمة تتناهضُ من فراشها فيكاد يئنُّ بعضها من بعضها ، وقامت فمشت ، فحاذَتنا ، وتجاوزَتنا غيرَ بعيد ، ثم رجعت إلى موضعها متكسرةً متخاذِلةً كأن فيها قوة تعلِنُ أنها انتهت . . . .

* * *

قال الراوى :

ونظرتُ إليها نظرةَ حزن ، فتغضّبتْ واغتاظتْ وشاجرتْ هذه النظرةَ من عينيها الدّعجاوين بنظرات متهكمة

لا أدرى أهى توبخنا بها ، أم تتهمنا بأننا أخذنا من حسنها مجّاناً . . . .

فقلت للأستاذ (ح) ، وأنا أجهَرُ بالكلام ليَبْلُغها :

أما ترى أن الدنيا قد انتكستْ فى انتكاسها ، وأن الدهر قد فسد فى فساده ، وأن البلاء قد ضوعف على الناس ، وأن بقية من الخير كانت فى الشرّ القديم فانتزعت ؟

قال : وهل كان فى الشر القديم بقيةُ خير وليس مثلُها فى الشر الحديث ؟

قلت : ههنا فى هذا المسرح قِيَانٌ لو كانت إحداهن . . . فى الزمن القديم لتنافس فى شرائها الملوكُ والأمراء وسَراةُ الناس وأعيانهم ، فكان لها فى عمارة الزمن صونٌ وكرامة ، وتتقلّب فى القصور فتجعل لها القصورُ حرمةً تمنعها ابتذالَ فنها لكل من يدفع خمسة قروش ، حتى لرُذّال الناس وغوغائهم وسفِلَتهم ؛ ثم هى حين يُدبرُ شبابها تكون فى دار مولاها حميلةً على كرَم يحملُها ، وعلى مروءة تعيش بها

وقديماً أخذت سلاّمةُ الزرقاء فى قُبلتها لؤلؤتين بأربعين ألف درهم تبلغ ألفَىْ جنيه . فهل تأخذ القَينةُ من هؤلاء إلا دَخينةً عليهن[1] . . . ؟

قال الأستاذ (ح) : ما أبعدكِ يا أخى عن (بورصة) القُبلة وأسعارها : . . . ولكن ما خبرُ اللؤلؤتين ؟

قال الراوى : كانت سلاّمةُ هذه جاريةً لابن رامين [2] وكانت من الجمال بحيث قيل فى وصفها : كأن الشمس طالعةٌ من بين رأسها وكتفيها ؛ فاستأذن عليها فى مجلس غنائها الصيرفىُّ الملقب بالماجن ، فلما أذنت له دخل فأقعى بين يديها ، ثم أدخل يده فى ثوبه فأخرج لؤلؤتين وقال : انظرى يا زرقاء جُعِلتُ فداك ، ثم حلف إنه نُقِد فيهما بالأمس أربعين ألف درهم . قالت : فما أصنع بذاك ؟ قال : أردتُ أن تعلمى

ثم غنت صوتاً وقالت : يا ماجن هبهما لى ويحك . قال : إن شئت والله فعلت ؛ قالت : قد شئت . قال : واليمين التى حلفتُ بها لازمة لى إن أخذتهما إلا بشفتيك من شفتى . . . .

* * *

(١) الخشف ولد الغزال يطلق على الذكر والأنثى ، واستروح السبع أى وجد ريحه فى الهواء قبل أن يراه ، وكذلك طبيعة الحيوان

(١) الدخينة وضعناها للسيجارة وجمعها الدخائن

(٢) سلامة هذه اشتراها جعفر بن سليمان بثمانين ألف درهم (٤٠٠٠ جنيه) كما اشترى جارية أخرى يقال لها ربيحة بمائة ألف درهم .

مصر وقناة السويس

دستور القناة وحق السيادة المصرية

لباحث دبلوماسي كبير

كان انشاء قناة السويس فى أرض مصر نذير سوء لمصر، كما كان نذير الخير والرخاء لتجارة الغرب وصناعته؛ ولم تجن مصر من انشاء القناة فى أرضها سوى المتاعب الخالدة، ومازالت بسبب هذه القناة عرضة لفروض مؤلمة من الاستعباد الأجنبي، كما أنها ماتزال عرضة لعدوان الاستعمار ووثباته؛ وقد شعرت مصر مرة أخرى بما يمكن أن يجره عليها وجود هذه القناة فى أرضها من ضروب الشر والأذى، فى الآونة الحاضرة التى يوشك أن يضطرم فيها النضال بين دولتين من دول الاستعمار، هما ايطاليا المتوثبة السابحة فى أحلام عظمتها الجديدة، وبريطانيا العظمى التى تسيطر فعلاً على قناة السويس وتدعى عليها لنفسها حقوقاً خاصة ماتزال مصر تنازع فيها

ولما كانت مصر ماتزال ترتبط بحكم الظروف فى شؤونها ومصايرها الحيوية بتطورات السياسة الانكليزية، فانها تجد نفسها اليوم عرضة لأخطار هذه الحرب الاستعمارية التى تصر ايطاليا على اضرامها فى شرق أفريقية؛ وإذا كانت انكلترا تلمح شبح الخطر من جراء هذه الثورة الفاشستية على امبراطوريتها الاستعمارية، وعلى سيادتها فى البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، وتزمع على ما يبدو أن تقاوم هذا الخطر، وأن تسحق المطامع الايطالية إذا اقتضى الأمر بقوة النار والسيف، فان مصر تجد نفسها من جراء ارتباطها بانكلترا، ومن جراء موقعها الجغرافى وحراستها الأسمية لقناة السويس فى أحرج مركز وأدقه. ماذا يكون موقف مصر إذا أصرت ايطاليا على مشروعها الاستعمارى وأعلنت الحرب على الحبشة، وماذا يكون مصير قناة السويس طريق ايطاليا الوحيد إلى ميدان القتال؟ بل ماذا يكون موقف مصر إذا تفاقم الأمر، ونشبت الحرب بين انكلترا وايطاليا، ومصر تجاور ايطاليا من جهة الغرب، وثغورها لا تبعد أكثر من سبعين ساعة عن مراكز الأسطول الايطالى؟ هذه فروض خطيرة مزعجة، ولكنها أضحت تلوح فى الجو قوية تكاد تنقض سواعقها بين آونة وأخرى؛ ومن ثم كانت موضع الاهتمام من جانب السياسة الانكليزية ومن جانب ولاة الأمر فى مصر

وأول مايشغل مصر فى الآونة الحاضرة مسألة قناة السويس، ومدى ما يمكن أن يكون لمصر، سواء بمفردها أو بالاتحاد مع انكلترا من حق فى اغلاقها وقت نشوب الحرب الافريقية، وهذا بفرض أن الحرب لم تتعد طرفى النزاع الأصليين: أعنى إيطاليا والحبشة؛ فى هذه الحالة تعتبر مصر من الوجهة الدولية فى حالة حياد بالنسبة للدولتين، ولكنها لن تكون كذلك فى الواقع لأن قناة السويس تغدو فى هذه الحالة طريقاً حربياً لايطاليا، وفتحها فى وجه السفن والقوات الايطالية لا يمكن أن يحقق معنى الحيدة، بل يكون وسيلة لمعاونة إيطاليا على افتراس الحبشة التى ترتبط مصر بها بروابط تاريخية ودينية وثيقة، ولمصر كما لانكلترا مصلحة حيوية فى ألا تقع منطقة تانا والنيل الأزرق فى يد دولة قوية كايطاليا يكون وجودها فى تلك المنطقة خطراً على ماء النيل

وقد قيل لنا أخيراً إن فقهاء الدولة المصرية بحثوا مسألة قناة

قال الراوى: ورأيتها قد أذِنَتْ لى وأنصتتْ لكلامى، وكأنما كانت تسمعني أعتذر اليها، واستيقنتُ أن ليس بى إلا الحزنُ عليها والرثاءُ لها، فبدت أشدَّ حياءً من العذراء فى أيام الخِدْر . . . .

ثم قلت: نعم كان ذلك الزمن سفيهاً ولكنها سفاهة فن . . . لاسفاهةُ عربدةٍ وتصعلك كما هى اليوم

فنظرتْ الىَّ نظرةً لن أنساها؛ نظرة كأنها تَدَمَّع، نظرة تقول بها: ألستُ انسانة؟ فلم أملك أن قلتُ لها: تعالى تعالى

وجاءت أحلى من الأمل للمترض سنحت به الفرصة، ولكن ماذا قلتُ لها وماذا قالت؟ . . . .

(لها بقية)　　(طنطا)　　مصطفى صادق الرافعي

الى الفنان (الحائر): اكتب لى أيها الفنان عنوانك، فان موضوعك لايحسن أن يكتب فيه إلا إليك. إن شيطانك يارجل كأنه درس الفقه . . . .
الرافعي

السويس ومدى ما لمصر من حق فى اغلاقها إذا اقتضت الضرورات الدولية ، وقيل لنا إنهم انتهوا إلى تقرير حق مصر فى اغلاقها فى وجه الفريقين المتحاربين إذا نشبت حرب إيطالية حبشية . ونحن ممن يأخذون بحق مصر فى اغلاق القناة سواء من الوجهة الدولية أوالوجهة الواقعية كما سنفصل بعد ، ولكن الذى لفت نظرنا فى مباحث فقهاء الدولة المصرية هو أنهم انتهوا إلى تقرير حق مصر فى اغلاق القناة من طريق لا نعتقد أنه خير الطرق ولا خير الأسانيد لتدعيم هذا الحق . ذلك لأنهم استندوا على ماقيل لنا فى تقريره إلى ميثاق تحريم الحرب الأمريكي أوميثاق كلوج الذى عقد فى باريس فى أغسطس سنة ١٩٢٨ وانضمت مصر إليه إلى جانب الدول الموقعة عليه . وميثاق تحريم الحرب كما نذكر ، ينص على استنكار الدول الموقعة للحرب كأداة للسياسة القومية ، وعلى تعهدها ألا تلجأ لحل المنازعات الدولية مهما كانت أنواعها وأسبابها إلا للوسائل السلمية . وقد وقع ميثاق تحريم الحرب فى باريس فى ٢٧ أغسطس سنة ١٩٢٨ ، وفى ٤ سبتمبر التالى أبلغت مصر حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بأنها تقرر انضمامها للميثاق بصيغته الأصلية دون التسليم بأى تحفظ أبدى بشأنه ، والمقصود بالتحفظات هنا ما أبدته بعض الدول الاستعمارية مثل بريطانيا من الاحتفاظ فى ردودها بحقوق وتحفظات معينة فى تسوية علائقها مع الدول التى تعتبرها واقعة تحت سيطرتها أو نفوذها

ويلوح لنا أن ميثاق تحريم الحرب لا يمكن أن يعتبر سنداً كافياً لما نراه من حق مصر فى اغلاق القناة . وفى رأينا أن هذا الحق يمكن اسناده من جانب مصر إلى حقوق السيادة القومية . ذلك أن مصر قد حلت بمقتضى التطورات الدولية منذ الحرب محل الدولة العثمانية الذاهبة واستعادت سيادتها القومية كاملة بانتهاء التبعية العثمانية الاسمية ، وأضحت لها من الوجهة الدولية مالأية دولة من حقوق السيادة الأرضية . هذا من الوجهة العامة . وأما من حيث مركز القناة الدولى ، فقد وضعت معاهدة استانبول التى عقدت فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٨٨ بين الباب العالى ، وبريطانيا العظمى ، والنمسا والمجر ، وألمانيا ، وفرنسا ، وايطاليا ، واسبانيا ، وهولنده ، وروسيا ، لقناة السويس دستوراً خاصاً من سبع عشرة مادة ، أساسه حيدة القناة التامة وحرية الملاحة المطلقة فيها وقت الحرب والسلم . وقد نص فى ديباجتها على أن الغرض من عقدها هو «الاتفاق الحر على نظام نهائى يكفل فى كل الأوقات ولكل الدول حرية الملاحة فى قناة السويس» . وكفلت المادتان الأولى والرابعة هذه الحرية فيما يأتى :

المادة الأولى – «تبقى قناة السويس حرة ومفتوحة دائماً أيام الحرب والسلم سواء لجميع السفن التجارية أو الحربية دون أى تفريق فى جنسياتها

وعلى هذا فالدول الموقعة متفقة فيما بينها على ألا تمس حرية المرور فى القناة أثناء الحرب أو السلم

ولا تخضع القناة مطلقاً إلى مزاولة حق الحصار»

المادة الرابعة – «تبقى القناة مفتوحة وقت الحرب ممراً حراً حتى لسفن الدول المتحاربة وفقاً لنص المادة الأولى . وقد اتفق المتعاقدون أعلاه على ألا تعرض القناة لمزاولة أى عمل حربى أو أى عمل من شأنه أن يخل بحرية الملاحة فى القناة ذاتها أو فى موانى الوصول إليها ، أو فى قطاع من هذه الموانى طوله ثلاثة أميال بحرية ، وهذا حتى لو كانت الدولة العثمانية هى إحدى الدول المتحاربة

ولا يجوز لسفن الدول المتحاربة المارة بالقناة وقت الحرب أن تتزود من المؤن فى القنال أو موانيه إلا بالقدر الضرورى ؛ ويجب عليها أن تخترق القناة بسرعة ؛ ويجب أن تمضى أربع وعشرون ساعة بين خروج سفينة حربية من أحد ثغور القناة وبين قيام سفينة تابعة لدولة معادية »

فى هاتين المادتين جوهر دستور قناة السويس ، وعليهما يستند أنصار الدعاية الايطالية فى القول بأن مصر لا تستطيع اغلاق القناة مطلقاً حتى ولو أعلنت إيطاليا الحرب على الحبشة ، واتخذت القناة أثناء الحرب ممراً لأساطيلها وجنودها

بيد أن هنالك فى معاهدة استانبول نصاً هاماً تضمنته المادة الثالثة عشرة ، وهو أنه «فيما عدا التبعات المنصوص عليها صراحة فى مواد هذه المعاهدة ، فان ما لجلالة السلطان من حقوق السيادة ، وما لسمو الخديو من حقوق بمقتضى الفرمانات لا يمس بأى حال»

فنى هذا النص ما يؤيد حقوق السيادة المصرية التى ترجع إليها حق مصر فى إغلاق القناة . ذلك أن حقوق السيادة التى كانت للدولة العثمانية على مصر قد آلت إلى مصر ذاتها بمقتضى معاهدة الصلح (معاهدة سيفر) أولا ، ثم بمقتضى معاهدة لوزان (سنة ١٩٢٣) ؛ فمصر من الوجهة الدولية هى صاحبة السيادة الأرضية على قناة السويس ، ولا يحد من هــــذه السيادة سوى حقوق الامتياز الممنوح لشركة القناة وهى حقوق استغلال تجارية فقط ؛ ولكن يحده من الوجهة الفعلية ما تدعيه انكلترا لنفسها فى تصريح فبراير سـنة ١٩٢٢ من تحفظات يتعلق أحدها بحق انكلترا فى الدفاع عن المواصلات الامبراطورية ، والقناة فى نظر انكلترا شريان من شرايينها الهامة

وفى وسع مصر أن تدعم حقها فى إغلاق القناة ، باعتباره حقاً من حقوق السيادة القومية ، أولاً بميثاق عصبة الأمم حيث ينص فى المادة العشرين على ما يأتى : « يعترف أعضاء العصبة بأن الميثاق الحالى يلغى كل التعهدات أو الاتفاقات الخاصة التى تتعارض مع نصوصه ، وتتعهد بألا تعقد فى المستقبل أية معاهدة تتعارض مع هذه النصوص » ، ولما كان دستور العصبة يقوم على فكرة السلام العام بين الأمم ، وعلى مبــدأ حسم المنازعات الدولية بالوسائل السلمية ، فان هذا الدستور الذى يجعل من قناة السويس وقت الحرب ، طريق حرب يزيد فى ضرامها وأخطارها ، يجب أن يعتبر وثيقة قديمة تنافى روح العصر ونصوص الميثاق . وثانياً بميثاق تحريم الحرب حيث ينص فى المادة الثانية منه على أن الدول الموقعة عليه تقرر بأن تسوية المشاكل والمنازعات الدولية أيا كان نوعها وأسبابها يجب ألا يعالج إلا بالوسائل السلمية ومصر طرف فى هذا الميثاق مثل إيطاليا

ونذكر أن السنيور موسوليني قد أدلى فى بعض أحاديثه الأخيرة ، أن مصر وانكلترا لا تستطيعان إغلاق قناة السويس لأن المادة ٢٨٢ من معاهدة الصلح (معاهدة فرساى) ، وهى التى تنص على المعاهدات والاتفاقات التى يبقى مفعولها بين ألمانيا والحلفاء ، قد ذكرت معاهدة أكتوبر سـنة ١٨٨٨ الخاصة بدستور القناة ضمن المعاهدات النافذة الباقية (فقرة ١١ من المادة المذكورة) ؛ وميثاق عصبة الأمم هو جزء من معاهدة فرساى ، فليس فيه إذاً ما يمكن أن يتخذ سنداً لالغاء معاهدة سنة ١٨٨٨ ، وهذا اعتراض له قيمته من الوجهة الفقهية لو لم تكن معاهدة سنة ١٨٨٨ قد غيرت فى كثير من أجزائها بفعل التطورات الدولية ؛ وليس المقصود هنا إلغاء المعاهدة برمتها ، وإنما المقصود نسخ حق حرية الملاحة المطلق الذى قررته المعاهدة ، لأنه يغدو فى مثل الظروف الحاضرة خطراً على سلام العالم ، فضلاً عن أنه خطر على مصر ذاتها

هذا ومن جهة أخرى فان هنالك حالة فعلية لا يمكن إغفالها ، هى أن القناة تقع فعلاً تحت سيطرة القوات الانكليزية ، وانكلترا تدعى عليها بمقتضى تصريح فبراير سنة ١٩٢٢ حقوقاً تؤيدها هذه الحالة الفعلية ، ومهما كان من اعتراض مصر على المسائل المحتفظ بها فى تصريح فبراير ، فانه لا شك أن هذه الحالة الفعلية هى لب المسألة كلها ، وإذا كانت مصر تفكر حقاً فى إغلاق القناة إذا أقدمت إيطاليا على إضرام نار الحرب ، فانها سوف تفعل ذلك بالتفاهم التام مع انكلترا ؛ وقد يؤيد تصرف الدولتين فى ذلك قرار يصــدر من عصبة الأمم بتوقيع العقوبات الاقتصادية المنصوص عليها فى الميثاق ضـد إيطاليا ، ويكون إغلاق القناة وقتئذ ذا صبغة دولية محضة ، ويكون فى عرف العالم كله وسيلة من الوسائل التى تتذرع بها مصر وانكلترا لصون السلام العالمى الذى تصر إيطاليا الفاشستية على تكديره تحقيقاً لشهواتها الاستعمارية (* * *)

٤ ــ فريزر ودراسة الخرافة

احترام الحياة الإنسانية

للدكتور ابراهيم بيومى مدكور
المدرس بالجامعة المصرية

أسلفنا القول فى بيان أثر الخرافة فى تثبيت دعائم الحكومة والملكية الشخصية والزواج . وها نحن أولاء نشرح ما غرسته فى النفوس من تقديس للانسان واحترام لحياته ؛ وبذا نكون قد أتممنا سلسلة النظم الاجتماعية التى شاء فريزر أن يبين مقدار تدخل الخرافة فى نشأتها وتكوينها

بديهى أن معيشة البادية المبنية على حب الانتقام ، والأخذ بالثأر ، وحماية الجار ، والدفاع المستميت عن المال والعرض ، والمملوءة بالأضغان والأحقاد أدعى لاراقة الدماء واعتداء المرء على أخيه . فالانسان الأول الذى عاش هذه العيشة المضطربة ما كان ينعم بضمانات كافية لحفظ روحه . فلم يكن له عسس منظم يسهر على حراسته ، ولا قانون واضح يهدد بالعقوبة كل من اعتدى عليه ، ولا محاكم محترمة تشهر بالجناة وسفاكى الدماء . ولا زلنا نشاهد الى اليوم أن القتل وازهاق الأرواح البريئة ينتشر حيث تسود الفوضى والاضطراب وفى الأوساط البدوية والقبائل الهمجية بوجه خاص . بيد أن الجمية تعالج نفسها بنفسها وتمد لكل داء ما يناسبه من دواء . ولئن فات الانسان المتوحش شرطتنا المنظمة ، وجندنا الشاكى السلاح فانه لم تفته وسائل أخرى من وسائل الدفاع عن نفسه وحقن دمه . ومن بين هذه الوسائل خرافة الأشباح وأرواح الموتى التى تتمثل فى صورة شياطين ومردة تنتقم ممن اعتدى عليها

قد لا تكون هناك خرافة سادت العالم سيادة هذه الخرافة . ظهرت مع الانسان منذ نشأته ، ولازمته فى مراحل التاريخ المختلفة : تبدو فى العصور القديمة والقرون الوسطى والأزمنة الحديثة ، بين البدو والهمج ولدى الأمم المتمدينة . ويكفى أن نشير الى أن كثيرين منا لا يجرؤون على السير ليلا ــ بل نهاراً ــ بجوار دار قتل فيها قتيل زعماً منهم بأن روحه الثائرة ستفتك بهم . وعلى عادة تغيير المسكن السائدة بيننا على أثر حريق أو وفاة مما ترجع الى هــذه الخرافة ، كما هو الشأن لدى بعض القبائل الهمجية . ويقص علينا عامتنا وسكان قرانا أغرب القصص عن المردة الذين لاقوهم فى طريقهم ودار بينهم مادار من حوار ونقاش ؛ والماهر منهم من استطاع أن ينجو من المارد الذى اعترضه بجواب لبق أو حيلة ماكرة ! وحديث « القرينة » والمفاريت ملأ قرانا ومدننا ، وأصبح أشهر من أن يعرّف عنه ، وله طب خاص وقوامون على أمره يتعهدونه بالبخور « والدقة » وما الى ذلك من علاج كله ضلال وبطلان

ليس بعسير على الباحث أن يثبت أن خرافة الأشباح هذه جنت على الانســانية جنايات شنعاء ، فبلت بعض الأشخاص بالخوف حتى من ظلهم ، وقضت على آخرين بالجنون والصرع وكثير من المصائب والآفات . وقعدت بكثيرين عن السعى وراء أرزاقهم خشية أن يعدو عليهم شبح من الأشباح أو روح من الأرواح . وفى بعض القبائل المتوحشة لا يستطيع شخص أن ينتفع بمال أبيه وأهله وذويه بعد موتهم ، لأن أرواحهم تنتقم منه أشد الانتقام غيرة على هذا الحرم المباح والمال المتعدى عليه ، فكل يعيش ليومه ، ولا يعمل شيئاً لغده ؛ وعلى هذا كانت فكرة المستقبل التى هى أساس التقدم الصناعى والتجارى والاقتصادى ضائعة لدى هذه القبائل ؛ وفى ضياع هذه الفكرة ما يتنافى وتكوين الثروة والمتاع ، وكيف تكون الثروة عند قوم كل همهم من الدنيــا عشرات السنين يعيشونها ؟ فاذا ماتوا انقرضت أمتعتهم معهم وبددت أموالهم ؟ يقول أحــد كبار الرحالة : « إنه ليس لدى البتاجون (من سكان أمريكا الجنوبية) أى قانون ولا أية عقوبة ضد المجرمين . كل يعيش على حسب هواه ، والسارق الماهر هو الجدير بالتقدير . وليس هناك ما يمنعهم من السرقة واقامة الأبنية الثابتة إلا العقيدة السائدة من أنه إذا مات أحدهم وجب أن تبدد أملاكه . فكل بتاجونى حصل على ثروة طوال حياته بالسرقة أو الصيد أو التعامل مع القبائل المجاورة لا يفيد ورثته فى شىء ، ذلك لأن كل ما ادخره يبلى معه ، وعلى أبنائه أن يكوّنوا ثروتهم بمجهودهم الخاص ... وقوم هذه معتقداتهم وتقاليدهم يقنعون بحاجاتهم العاجلة ولا يتعلقون برغبة

حقيقية ، ولا يصوبون نحو غاية بعيدة ؛ وهذا سر كسلهم وتواكلهم ورضاهم بالقليل الذى يتنافى مع التقدم والحضارة ، وعلام التعلق بالمستقبل الذى لا يرجى منه خير أو شر ؟ الحاضر هو كل شيء فى أعينهم ، والمنفعة الذاتية مبدؤهم ؛ فالابن لا يتعهد قطيع أبيه لعلمه أنه لا يعود عليه بطائل ، وإنما يكد ويكدح وحده ليحصل على ثروة شخصية [1] » فخرافة الأشباح والعفاريت والمردة سبب من أسباب الضعف السياسى والاقتصادى لدى بعض الشعوب الناشئة والجاهلة

غير أن هذه الخرافة ليست شراً كلها ، بل كانت عاملا من عوامل الخير والدفاع عن الانسان فى الجمعيات التى سادت فيها ، فالخوف من الأشباح وعدوانها والأرواح وانتقامها ساعد على حقن دماء كثيرة واحترام الحياة الانسانية . وذلك أن طائفة من الشعوب تعتقد أن أرواح الموتى والقتلى ذات نفوذ عظيم وقوة هائلة تستطيع بها أن تعكر على الأحياء صفوهم وتعترضهم فى طريقهم وتتقمص أجسامهم . وأرواح القتلى بوجه خاص مفطورة على الثأر ممن اعتدى عليها فى شخصه أو فى أهله وعشيرته . لهذا يضطر الأفراد والجماعات لترضيتها بالهدايا والقرابين ، فيذبحون المعز والضأن والديكة والخنازير التى يغسل القاتل بدمها أقذار خطيئته . وأحياناً يحاربون هـذه الأرواح ويطاردونها بمختلف الوسائل ويهجرون القرى والمساكن من جرائها . وكم من قرية كانت آهلة بالسكان صباحاً ، ثم قتل فيها قتيل ظهراً فأضحت فى المساء خراباً يباباً ! وقد عثل بالمقتول أشنع تمثيل لتبقى روحه كامنة فى جسمه وعاجزة عن الثأر له

فالاغريق الأول كانوا يعتقدون أن روح القتيل تتأجج غيظاً ممن اعتدى عليها وتتابعه فى حقله ومسكنه ولا ينجيه منها إلا فراره خارج الديار عاماً كاملا يرجى فيه أن تهدأ هذه الروح من ثورتها . وإذا عاد إلى وطنه سارع إلى تقديم الضحايا والقرابين تكفيراً عن اثمه . وقاتل هذا شأنه يعد شراً يتقى وخطراً تخشاه الجمعية لما يحيط به من أرواح ثائرة قد تؤذى كل من حام حوله ، فكان طبيعياً أن تحكم القبيلة على القاتل بمفارقة البلاد الزمن اللازم لتكفير خطيئته وارضاء الروح التى جنى عليها [1]

والصينيون كانوا ولا يزالون يؤمنون ببقاء الأرواح وقدرتها على مكافأة المحسنين والانتقام من المسيئين ؛ فهى تتدخل من غير انقطاع فى عالم الأحياء وتتصرف فيه تمام التصرف . نعم إن هناك فرقاً بين الأشخاص والأرواح ، بين الأحياء والأموات ، بيد أن هـذا الفرق طفيف والمسافة بين هذه الأطراف قصيرة للغاية . وما الديانة الصينية إلا مجموعة أفكار تدور حول الأرواح وما يتصل بها . وقوم يذعنون للأرواح هذا الأذعان لا يجرؤون على الاعتداء عليها ويقدسون الحياة الانسانية تمام التقديس [2] ويعتقد سكان أفريقية الوسطى أن القاتل إذا قاسم قوماً فى طعامهم أو بات فى كوخهم أحل بهم غضب الله وربما كان سبباً فى هلاكهم ، اللهم إلا إن تداركهم القسس والكهنة بأدعيتهم وتضرعاتهم ، ويزعم بعض القبائل الهندية أن الرجل إذا قتل عدوه لا يسلم من شر روحه إلا إن أراق دم خنزير أو جدى صغير ، ومع أن البانتو يعدون الفوز فى المعارك الحربية مفخرة عظيمة وشرفاً لا يعدله شرف فانهم يخشون أرواح القتلى خشية تضل بهم أحياناً إلى الجنون والصرع . ولدرء هـذا الخطر يبقى المحارب الظافر فى العاصمة بضعة أيام لابساً خرقاً بالية آكلاً فى أوان وملاعق خاصة ، وحرام عليه أن يشرب الماء وأن يقرب النساء وأن يتناول أى طعام دافئ . وإذا قتل أحد سكان الكنغو قتيلاً حمل على رأسه بعض أرياش الببغاء وغطى جبهته بلون أحمر ، وكأنما يريد بذلك أن يستتر عن أعين الروح التى تطارده . وفى غانة الجديدة تسارع القبيلة المحاربة بعد إنجازها هجوماً أو معركة ما بالعودة إلى مسكنها أو إلى قرية محالفة قبل أن يدخل الليل الذى تهيج فيه الأرواح وتتشبث بالقتلة والمحاربين . وفى مقدور الروح أن تتعرف من اعتدى عليها بما لصق بجسمه من دم القتيل أو أى أثر من آثاره . لذلك يطهر المحارب جسمه وحربته بعـد أن يتم مهمته ، وإذا وصل إلى قريته حيل بينه وبين أهله وذويه ويبقى منعزلاً فترة من الزمن ، وفى اليوم الثالث من وصوله يحتفل به

(١) Alcide d' Orbigny, Voyage dans l' Amérique méridionale, II, P. 99 sq

(١) Platon, Lois IX, 8. — Aristote, Constitutions d' Athénes, 57.

(٢) Groot, The religious system of chiuna, IV, 450. 464

أصدقاؤه احتفالاً مناسباً ، وفى اليوم الرابع يلبس أجمل ثيابه وعدة حربه ويخرج شاكى السلاح مخترقاً شوارع القرية ؛ وعله يرى بهذا إلى استرداد قوته وشجاعته . وإذا شكا أحد أبناء القرية ألماً فى معدته ظن أن ذلك راجع إلى أنه جلس فى مكان شغله محارب من قبل ؛ وإذا أصيب بأذى فى أسنانه عزا هذا إلى أنه أكل فاكهة لمسها محارب [(١)]

وأرواح الآباء والأقارب القتلى بوجه خاص شديدة الهول وعظيمة الخطر ، لأنها تجد وسائل كثيرة للثأر لنفسها وأعرف بدخائل القاتل من الأرواح الأخرى . وقد يكون فى هذا ما يفسر قسوة الجمهور إلى اليوم على قاتل أبيه أو أمه أو أخيه . والقوانين الجنائية نفسها مشربة بهذا المعنى فى مختلف الأمم والشرائع ، ولأبناء القرية الواحدة من الجلال والحرمة ما للأهل والأقارب ، فلئن استساغ همجى إزهاق روح أجنبية لا يستطيع أن يخفى ذعره من اعتدائه على روح جاره ومواطنه . فسكان الكنغو مثلاً لا يرون غضاضة عليهم فى العدوان على القرى المجاورة فى حين أن عدوانهم على أبناء قبيلتهم وقريتهم يملؤهم خوفاً ورعباً ، ولا يتردد القاتل فى أن يلبس السواد على من قتله ويحزن عليه حزناً شديداً كأنه أحد أقاربه أو أصدقائه ولا يشرب ولا يأكل ويبكى بكاء مراً [(٢)]

وليس خطر الأرواح والأشباح مقصوراً على الأفراد وحدهم بل يتعداهم إلى الجمعية بأسرها ، لأن الأرواح الثائرة ربما تعدو على من صادفها دون أن تميز الجانى من غيره . لذلك تضطر الجمعية إلى تهدئة ثورة هذه الأرواح بشتى الوسائل أو إلى محاربتها والفرار منها . ومن الأمثلة على ذلك أن أهل برمانيا يزعمون أن أرواح القتلى لا تصعد إلى عالم السعادة ولا تنزل إلى عالم الشقاء ، وإنما تبقى دائماً حائرة فى الأرض تفزع من تلقى ، ولترضية هذه الأرواح تقدم لها فى الغابات المجاورة قرابين من الأرز مصحوبة بالأدعية الآتية : « أرواح من سقطوا من شجرة ، أو من ماتوا جوعاً وعطشاً ، أو من أكلهم النمر والثعبان ، أو من عدا عليهم الانسان ، أو من أهلكهم الطاعون والجرب ، لا تسيئوا معاملتنا ، ولا تؤذونا ولا تثوروا علينا ، امكثوا هنا فى هذه الغابة حيث الأرز اللازم لطعامكم [(١)] » وقد لا تقف الجمعية عند القرابين والهدايا للتكفير عن خطيئة القتل وتهدئة الأرواح المضطربة ، بل تعمل على مطاردة هذه الأرواح بطرق أخرى . فهنود أمريكا الشمالية إذا عادوا من معركة صاحوا صيحات عالية وأحدثوا جلبة وضوضاء يراد بها منع الأرواح من أن تدخل قراهم ، ومن القريب أننا نجد نفس هذه التقاليد لدى سكان غانة الجديدة الهولندية والألمانية ، وفى استراليا . ويقطع جماعة الأسكيمو المقيمون فى مضيق بيرنج عضلات ذراع وجنب القتيل ليحول ذلك دون سيره إن عادت روحه إلى جسمه طلباً للثأر . وفى أفريقية الجنوبية يهشم العمود الفقرى تهشيماً منعاً للقتيل من الحركة . وتملأ طائفة أخرى عين القتيل بالفلفل كى تضل روحه السبيل

فخرافة الأرواح والأشباح ملأت الناس أفراداً وجماعات ذعراً وهولاً ، ودفعتهم إلى احترام الحياة الانسانية وتقديسها . وما القوانين الجنائية المنظمة ؛ والمحاكم القائمة بين الناس بالعدل والانصاف إلا أثر صالح من آثار هذه الخرافة . خشى الفرد القاتل الأرواح وعدوانها فلم يسرف فى القتل حباً لذاته وتعلقاً بشخصه ، ورأت الجماعة فى هذه الأرواح خطراً يهدد كيانها فأنزلت بالقتلة صارم العقاب ، وسنت ما سنت من حدود تروع الجناة وسفاكى الدماء ، وبذا أضحت الحياة الانسانية محوطة بعاملين : داخلى وخارجى ، فردى وجمعى ، ومحمية بسلاح الاخلاق والقانون

يجهد الفقهاء والمشرعون أنفسهم اليوم فى مناقشة النظرية القائلة بأن الحدود جوابر أو زواجر . ويختلف علماء القانون الجنائى فى أثر العقوبة : فطائفة تقول إن الغرض منها إصلاح المجرم ، وأخرى ترى فيها القصاص اللائم للمجنى عليه ، وثالثة تعدها ترضية لازمة لعاطفة الجمهور الثائرة والمعتدى عليها . وما هذه الآراء المتباينة والنظريات المختلفة إلا منطق مهذب ندخله فى تقاليد القبائل الهمجية وتعليل منمق نصبغ به خرافات الشعوب الأولى . وهكذا تسير الانسانية من الخيال إلى الحقيقة ، ومن بحر الخرافة العميق إلى صخور العقل الثابتة ، ومن الخارق للعادة إلى الطبيعى ، ومن المسلم به إلى المنطق

ابراهيم بيومى مدكور
دكتور فى الآداب والفلسفة

(١) Guise, On the tripes inhapiting... New Guinea, Journal of the anthropoalogical institute, XX VIII, p. 213 sq

(٢) Weeks, Among Congo cannibals, p. 268

(١) Bringand, Les Karins de la Birmanie p. 208

الشعر *

في صدر الإسلام وعهد بني أمية

بقلم أحمد حسن الزيات

ظهر الاسلام وقد تحكم في حياة العرب جاهلية قاسية وعقلية جافية وعصبية مفرقة ، فكان الشعر مظهر هذه الصفات وباعثها ؛ فلما أعلن الرسول الحرب على هذه الأخلاق تمهيداً لألفة القلوب ووحدة العرب ، كان من الطبيعي أن ينغض رأسه إليه ، وألا يشجع الناس عليه ، ففي القرآن : « والشعراء يتّبعهم الغاوُون . وما علمناه الشعر وما ينبغي له » ، وفي الحديث : « لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يُريَه خيرٌ له من أن يمتلئ شعراً » . فازور جانب المسلمين عن قرض الشعر وروايته ، على علمهم بأن الدين لم يكرهه على إطلاقه ، وإنما كره منه ذلك النوع الذي يمزق الشمل ويثير دفائن القلوب . ثم شُغل العرب جميعاً بالدعوة العظمى ، فمن مؤيد ومن معارض ، واشتدت الخصومة بين الرسول وبين قريش ، فجردوا عليه الأسنّة والألسنة ، ولكن شعراء العرب وقفوا موقف الحياد والتربص ينتظرون نتيجة المعركة بين التوحيد والوثنية ، وبين الديمقراطية والأرستقراطية ، وبين محمد وقريش . فلم يناهض في الخصومة إلا الشعراء القرشيون وقد كانوا قلالاً قبل الاسلام لشواغل الحضارة والتجارة ، فصاروا كثاراً بعده لدواعي النزاع والمعارضة . بدأ هذه الحملة منهم عبد الله بن الزبعرى وعمرو بن العاص وأبو سفيان ، فآذوا الرسول وأتباعه بقوارص الهجاء ، فهاج ذلك من شاعرية المسلمين وودّوا لو يأذن لهم الرسول عساجلتهم ، فما هو إلا أن قال لهم : « ماذا يمنع الذين نصروا الله ورسوله بأسلحتهم أن ينصروه بألسنتهم ؟ » حتى صمد للقرشيين نفر من الصحابة ، فيهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة ، وشبوها حرباً كلامية جاهلية لم يهاجم المهاجون فيها بفضائل الوثنية ، ولم يدافع المدافعون بفضائل الاسلام ، حتى نقول إن الشعر قد خطا في مذاهب الفن خطوة جديدة ، بل كانوا يتهاجون على النمط المعروف من الفخر بالأنساب والتبجح بالسؤدد ؛ يدل على ذلك قول الرسول لحسان : « اذهب إلى أبي بكر فهو أعلم بمثالب القوم » ، وقوله : « كيف تهجو قريشاً وأنا منها ؟ » فقال : أسلك كما أسل الشعرة من العجين

فليس من شك في أن الشعر ظل على عهد الرسول جاهلياً . وخضعت قريش وسائر العرب للدين الجديد بعد لأي ، فخرست الألسنة اللاذعة ، وفر الشعر الجاهلي ثانية إلى البادية ، وانصرف المسلمون إلى حفظ القرآن ورواية الحديث وجهاد الشرك ، فخفَتَ صوت الشعر لقلة الدواعي إليه ، فما كان يظهر إلا الحين بعد الحين في صادق المدح والرثاء ؛ وتساهل الرسول في سماعه حتى أثاب عليه ، وحتى قال فيه : « إن من الشعر لحكمة »

تلك كانت حالة الشعر في عهد النبوة ، وأما حاله بعدها فأقل شأناً وأحط مكانة لذهاب المعارضة ولشدة الخلفاء في تأديب الشعراء ، وانصراف هم العرب إلى الفتوح ؛ ولكن الدين قد بدأ يفعل في النفوس ، ومظاهر الحضارة قد أخذت تؤثر في الأذهان ، فظهر أثر ذلك ضئيلاً في شعر المخضرمين ككعب بن زهير والحطيئة وممن بن أوس والنابغة الجعدي ، ولكنه أثر لا يتعدى بعض الألفاظ الاسلامية كالمعروف والمنكر والصلاة والزكاة والجنة والنار والمهاجرين والأنصار . ولذلك نرى من المبالغة جعل المخضرمين طبقة ممتازة ، فان شعرهم استمرار للمذهب الجاهلي لم يتأثر بالاسلام إلا تأثراً عرضياً كضعف الأسلوب في شعر حسان ، أو قلة الانتاج في قريحة لبيد ، أو كثرته في الحطيئة والنابغة الجعدي مثلا ؛ والأشبه بالحق أن نقرر ما أشرنا إليه من قبل ، وهو أن الشعر العربي ظل في الجاهلية والاسلام واحداً في مظهره وجوهره ونوعه حتى أواخر عهد بني أمية ؛ والتأثير الذي ناله من الموالي والسياسة والحضارة والدين لم يعطفه إلى طرق جديدة ، وإنما وسع في معانيه ومناحيه ، فقوى بعض أغراضه كالهجاء ، وميز بعضاً آخر كالنزل - وهل يمكن التجديد في الشعر وجل الشعراء إنما يأتون من البادية ، والخلفاء يتعصبون للبادية ، والرواة والأدباء واللغويون يطلبون اللغة والشعر في البادية ؛ والعرب بطبيعتهم يميلون إلى التقليد ويجلون القديم

* من الطبعة الجديدة لكتاب تاريخ الأدب العربي الذي صدر حديثاً

المأثور من سؤدد وخلق وأدب ؟ فليس من سبيلنا أن نتكلف البحث المقيم في القرن الأول عن مذهب شعري جديد يصح أن يكون أساساً لأدب عربي جديد ، فان مذهب عمر بن أبي ربيعة في الغزل لا يختلف عن مذهب امرئ القيس إلا في المعاني الحضرية ؛ ومذهب جرير والفرزدق في الهجاء لا يختلف عن مذهب الحطيئة والشماخ إلا في المعاني السياسية ، فلنقصر الجهد على تحليل نهضة الشعر في العراق والحجاز على عهد بني أمية وبيان خطرها وأثرها في الانتاج العقلي للعرب

* * *

كانت القحطانية والعدنانية ، والعلوية والبكرية ، والهاشمية والأموية ، والعروبة والشعوبية ، تضطرم في نفوس المسلمين اضطرام البركان قبيل أن يثور ، ولكنها كانت تضعف حيناً وتشتد حيناً تبعاً لسياسة القائم بالأمر ونظام حكمه ؛ فالقبائل كانت تنزل منازلها في البلاد على هذه الفكرة ، والبصرة والكوفة تخططان على هذه الفكرة ، والخلاف ينجم في فارس والشام والعراق والأندلس من هذه الفكرة ، وكلها تدور على الزعامة والامامة ؛ فمن كان سيداً في الجاهلية يريد أن يكون سيداً في الاسلام ، كأن العرب لم يفهموا من الدين الجديد إلا أنه طريق إلى السلطان وسبيل إلى الغلبة والثروة والحكم ليس غير . ولعلك تذكر أن بعضاً من شيوخ القبائل كقيس بن عاصم والأحنف بن قيس كانوا يعرضون على الرسول أن يدخلوا في دين الله لا على أنه الدين الحق ، بل ليكون لهم الأمر من بعده

ظلت هذه الروح العصبية مكبوتة في عهد الشيخين لأخذها الأمور بالحزم والعدل ، ولانصراف العرب إلى الغنم من طريق الجهاد والفتح ، فلما ولي الأمر عثمان وهنت اليد المصرفة فسددتها يد أخرى ، وتشتت الرأي فلم يصدر عن الخليفة وحده ، وحكم آله الناس بعصبيتهم الأموية لا بقوميتهم العربية ؛ وكان المسلمون يومئذ قد أفاءت عليهم الفتوح والغنائم بالثراء إلى حد البطر ، فاستيقظت الفتنة وقامت الثورة وانتهت بقتل عثمان ، وتجددت الخصومة على أثر ذلك بين علي ومعاوية ، وقتل الامام فتحرج الأمر وانشقت العصا ، وانصرف العرب إلى جهاد العدو عن جهاد أنفسهم باللسان والسيف ، وتفرقوا أحزاباً وشيعاً بعضها للدين وبعضها للدنيا . ففي الشام حزب يشايع بني أمية ، يريض لهم الأمر ، ويمكنهم في الملك ؛ وفي الحجاز حزب يناصر ابن الزبير ، يؤيده في دعواه وينصره في دعوته ؛ وفي العراق حزب يشايع أهل البيت ويطلب لهم بحقهم في الخلافة ؛ وهنالك حزب دعقراطي ينكر الأحزاب ويكفر الزعماء ، ويقول بالشورى في الخلافة . وفي هذه الأحزاب الأربعة توزعت أهواء المسلمين وآراؤهم إلا طائفة قليلة لزمت الحياد وأرجأت الحكم بين المختلفين إلى قضاء الله يوم الدين ، وهم المرجئة ؛ واتصلت بين الأحزاب الخصومة ، وأعنف فيها الخصوم ، ولكن معاوية بعد أن تم له الأمر كان يصانع معارضيه بالدهاء والعطاء والاغضاء والحزم حتى استوثق له الأمر طيلة حياته إلا من جهة الخوارج ، فلما مات أفاق خصومه من خدَر سياسته فزعزعوا عرشه ، حتى إذا وهي أدركه مروان وبنوه فسندوه واقتعدوه . وفي زمن عبد الملك اشتدت المعارضة واستمرت الحروب ، وكثر الطالبون بالخلافة ، وانبسط سلطان العرب ، وزخرت موارد الفيء ، واكتمل شباب الجيل الذي نشأ في الاسلام واغتذى بثمر الفتوح واستمتع بجمال الحضارة واختلط بأنماط شتى من الناس وساهم بيده ولسانه في هذه الفتن ، فبلغ الأدب العربي غاية ماقدر له أن يبلغ . فهل يمكن أن يظل الشعر بنجوة عن هذه الحياة الصاخبة ، والعصبية الغالبة ، والأحزاب المتحاربة ، والأهواء المتضاربة ، والشعر العربي ربيب الخصومة والجدل ، تمده الحزبية ويقويه المراش وتوحيه شياطين الفرقة ؟ الواقع أنه كان وقود هذه الفتن ولسان هذه الأحزاب ، يصطنعونه كما نصطنع نحن الصحف اليوم ، فيناضل عن زعمائه ، ويدافع عن آرائهم ، ويصطبغ بصبغة العقيدة التي يدعو اليها وينافح عنها . وإذا علمت أن العرب جميعاً ساهموا في هذه الخصومات ، وأن أكثرهم يقول الشعر وخصوصاً في هذه الأزمات ، وأن الأمويين استمالوا بالمال هوى الشعراء ، وأوقدوا بينهم نار التنافس والهجاء ، وأن الشعر أصبح صناعة متميزة يعيش عليها بعض الناس ، أدركت سبب وفرة الشعر وكثرة الشعراء في عصر عبد الملك ، إذ بلغ عدد الفحول المائة . وليس من شك في أن الشعر وإن حافظ على طريقته وطبيعته قد تأثر بهذه الحياة الجديدة تأثراً ظاهراً في معانيه وأغراضه ؛ ولكن هذه الحياة لم تكن كلها نزاعاً سياسياً وجدالاً دينياً حتى يقف تأثره عند هذا الحد ، وإنما كان لها مظاهر أخرى يحسن

أن نشير إليها قبل أن ندل على آثارها في الشعر

* * *

كان من الطبيعي أن تختلف مظاهر هذه الحياة في العواصم العربية لاختلاف الأحوال السياسية والاجتماعية فيها . فالعراق كان منذ القدم منتجع الخواطر العربية لخصبه وغنائه ، ووفرة ظله ومائه ؛ وقد لاذ العرب قبل الاسلام بأطرافه وأريافه واللسان واليد فيه للفرس ، فأنشأوا إمارة المناذرة ؛ فلما فتحوه في عهد عمر نزحوا إليه وأنشأوا على حدود البادية البصرة والكوفة . وكان في العراق ميراث وَفْرٌ من العلم والأدب والدين خلفته الأمم البائدة ، ولم يؤت العراق ما أوتيت مصر من قوة الهضم والتمثيل حتى يحيل سكانه إلى جنسية واحدة وعقلية واحدة ، فانطبعت الأهواء فيه على الفرقة ، والنفوس على التنافر ؛ وأتى إليه العرب بالعصبية اليمنية والنزارية ، ووقعت فيه الأحداث الاسلامية الجُلَّى كوقعة الجمل ومصرع الأئمة والقادة ، وما نجم عن ذلك من قيام الشيعة والخوارج ، واشتداد المعارضة لبني أمية ، واستحكام الخلاف بين البصريين والكوفيين في السياسة والدين والعلم ، فكانت البصرة عثمانية ، والكوفة بعد استقرار الامام بها علوية ، والجزيرة الفراتية إما نصرانية وإما خارجية ، لأنها مسكن ربيعة ، وهم كما قال الأصمعي رأس كل فتنة ؛ ومن ربيعة بنو تغلب الذين قال فيهم الامام علي : « يا خنازير العرب والله لئن صار هذا الأمر إليَّ لأضعن عليكم الجزية » . فكان الشعر العراق صورة لهذه الحياة الثائرة المتنافرة ؛ فهو قوي عنيف يكثر فيه الهجاء والفخر ، وتتلون فيه العصبية القَبَلِيَّة ألواناً شتى من التحزب للمكان والعقيدة والجنس ، وتتغلب فيه النزعات الجاهلية على التعاليم الاسلامية ، وتغذيه نفحات بدوية وصِلات أموية ، فيزدهر وينتشر حتى يشغل كل لسان ويحتل كل مكان ويعبر عن كل مبدأ

والحجاز منبع الاسلام كان أشبه بينابيع النهر : يفيض منه الماء الصافي في سكون ورفق ، حتى إذا بعد مجراه اعترضته الشلالات وتقسمته التيارات فتكدر نميره واشتد هديره ، وتوزعته الجداول والأقنية ، فبعضه في سباخ الأرض ، وبعضه في الرياض ، فروى بعضاً وأغرق بعضاً . انتقلت منه الخلافة والمعارضة والدم إلى العراق والشام ، وبقي هو كما كان وكما هو الآن يقبل المال والمؤنة من كل قطر ، واقتضت سياسة الأمويين أن يعتقلوا فيه شباب الهاشميين فلا يتركونه إلا بإذن ، وسلطوا عليهم الترف ، وشغلوهم بالمال عن الملك ، وخلوا بينهم وبين الفراغ ، وقد ورثوا مع ذلك عن آبائهم المجاهدين مغانم الفتح من أموال ورقيق ، وفي أهل الحجاز ملاحة ظرف ووداعة نفس ولطافة حس وفصاحة لسان ومحبة لهو ، فتبسطوا على النعيم وعكفوا على اللذة ، وقطعوا أيامهم بالمنادرة والمنادمة ، وذهبوا في حياة المجون كل مذهب ؛ ووصل الحج بينهم وبين الحسان والقيان ، واستهوت هذه الحال المغنين فوفدوا إلى مكة والمدينة من أقطار الدولة حتى اجتمع منهم في وقت واحد كما يقول أبو الفرج : « ابن سُريج ، والغَريض ، ومعبد ، وحنين ، وابن محرز ، وجميلة ، وهَيْت ، وطُوَيْس ، والدلاَل ، وبرد الفؤاد ، ونومة الضحى ، ورحمة ، وهبة الله ، ومالك ، وابن عائشة ، وابن طنبورة ، وعزة الميلاء ، وحَبَابة ، وسَلاَّمة ، وبلبلة ، ولذة العيش ، وسعيدة ، والزرقاء ، وابن مِسْجح » وحتى غلب الغناء على أعمال الناس وميولهم ؛ فقد حدث الامام مالك عن نفسه قال : « نشأت وأنا غلام أتتبع المغنين وآخذ عنهم ، فقالت لي أمي : يا بُنيَّ إن المغنِّي إذا كان قبيح الوجه لا يُلتفت إلى غنائه ، فدَعِ الغناءَ واطلب الفقه فانه لا يضر معه قبح الوجه ؛ فتركت المغنين واتبعت الفقهاء فبلغ الله بي عز وجل ما ترى » . من ذلك شاع الحب في مدن الحجاز ورقَّت عواطف بنيه ، فسلكوا بالشعر مسالك الغزل الحضري الرقيق الصادق ، حتى كاد هذا الفن لافتتانهم فيه يبتدىء بهم وينتهي إليهم

وأما الشام فكان بنجوة من الثورات النفسية والأزمات السياسية لخضوعه لبني أمية وإخلاصه لهم وانصرافه إلى تأييدهم ، فلا هو مضطرم العواطف كالحجاز ، ولا هو مضطرب الأهواء كالعراق ، وقد أمن الخلفاء جانبه فتركوه لشأنه دون أن يثيروا عصبيته للخلاف ، أو يهيجوا طاعيته لنغم ، فبقي الشعر من جراء ذلك راكداً في نفوس أهله لا يبعثه باعث ، ولا يتوافر على دراسته وروايته باحث ؛ وأكثر ما كان فيه من ذلك إنما كان يفد إليه من العراق والحجاز مع الشعراء الذين يجذبهم سخاء القصر أو دهاؤه ، والأدباء الذين يطلبهم الخلفاء من البصرة كلما أعضلتهم مسألة في اللغة والنحو والأدب

(يتبع) الزيات

إلى الدكتور طه حسين

نزيل حمص

للأستاذ محمد روحي فيصل

هو العبد الحبشي الماكر ، ومولى السيد جبير بن مطعم ، (وحشي) . نزل حمص واستقر بها فيمن نزلها من المسلمين الفاتحين في صدر الاسلام ، واتخذوها لهم مقاماً ومستقراً ، وكان وحشيٌّ في الجاهلية ، فتىً شجاعاً رقيقاً يخضع على كره منه لما يخضع إليه الرق من ضعة الذل والعبودية ، فلما كانت غزوة أحد وقامت الحرب التي لابد منها بين النبي وخصومه ، صاح به مولاه جبير وقال :

— هذا العداء ثائر بيننا وبين محمد ، وأنت باسل طموح ، فلئن قتلت حمزة بن عبد المطلب عم النبي وثأرت لي منه ، فأنت حر طليق

— سمعاً وطاعة يا مولاي

وتشب النار ، ويضطرب الناس ، وتتساقط القتلى من الفريقين ، ووحشي الماكر كامنٌ أثناء المعركة وراء شجرة يستتر بها عن الأعين ويرقب الفرصة السانحة ، فلما رأى أسد الله حمزة يجول في الميدان ويصول على جواده ، رماه بحربة من هذه الحربات القاتلة التي لا تخطئ موضع الخطر في الانسان ، ولا تحيد عما قُصد بها من غاية ...!!

وينطلق العبد إلى مولاه جذلان مرحاً ، ويظفر بحريته الحبيبة ، ولكنه « لم يعد إلى بلده ، وكيف سبيل العودة إليها ؟ ولم يَسُد في مكة ، وكيف السبيل إلى السيادة فيها ؟ إنما عاش بين قريش حراً كالعبد وطليقاً كالأسير »

ثم ينتشر الاسلام ، وتنهار الوثنية ، ويدخل المسلمون الظافرون مكة الكافرة ، فتضيق الدنيا على رحبها بالعبد القاتل ، ويفكر كثيراً في نجاته ، فيفزع آخر الأمر مضطراً إلى الاسلام ، ويقصد خائفاً وجه النبي ، ولكن النبي لم يقتل قط رجلاً جاءه مسلماً . ويحزن النبي عليه السلام حين رآه ، ويسترجع بالذكرى والخيال عمل وحشيّ المنكر الماضي ، فيقول له : غيّب وجهك عني ! فخضع التائب للأمر الواقع ، وندم على ما فعل « وعاش وحشي في المدينة حراً كالعبد ؛ وطليقاً كالأسير ، وجعل الندم يحز في قلبه حزاً ، ويمزق فؤاده تمزيقاً ، يؤرقه إذا دنا الليل ، ويعذبه إذا أقبل النهار ! »

ويلهو العبد النادم بالجهاد ، ويشترك في حروب الردة ، فيبلو فيها البلاء الجميل ، ويقتل مسيلمة الكذاب ، ثم يمعن في جهاده ويغزو مع من غزا بلاد الروم ، فينزل حمص ويستقربها فيمن نزلها من المسلمين الفاتحين ، واتخذوها لهم مقاماً ومستقراً ؛ ولكن الندم على هذا الجهاد المتصل لا يزال قوياً واضحاً يفعل أفاعيله في نفس وحشي المسلم ، يقلق عليه مضجعه ، ويشغله عن كل شيء ، ويعذبه عذاباً أليماً

ويمضي على عادته أديب العربية الكبير الدكتور طه حسين في تحليل النفس النادمة ، ووصف ما تعانى من الآلام ، فاذا وحشي « يستعين على الندم بالخمر ، وإذا هو يشرب ويسرف في الشرب ، وإذا هو يُضرب في الشراب فلايمنعه الحد من معاودة الشراب ، وإذا هو معروف في أهل حمص بما قدم من خير وشر ، وإذا هو معروف في أهل حمص بسكره إذا سكر ، وبصحوه إذا صحا ، وإذا هو يسكر حتى يصبح مخوفاً على من يدنو منه ، ويصحو حتى يصبح عاقلاً حلو الحديث . والندم يلح عليه حتى يبغضه إلى نفسه تبغيضاً ، ويصرفه عن الصحو صرفاً ، وكلما مضت عليه الأيام ازداد امعاناً في الشراب ، والسن تتقدم به ، وجسمه يضعف شيئاً فشيئاً ، وعقله يذهب قليلاً قليلاً ، والندم ماثل مع ذلك في نفسه ، ملم بداره ، يأخذه من كل وجه ، وهو لايجد سبيلا إلى الفرار منه إلا إلى الشراب ، وهو يُضرب في الشراب ، وقد ضعف وفنى ، فلا يحتمل الضرب فيموت »

* * *

وقفت خاشعاً بالأمس على قبر وحشي المجاهد السكير ، وهو قبر متواضع متهدم لا يزال قائماً في شرق حمص يزوره الناس كل يوم ، أسترجع الجهاد العظيم الذي أبلاه صاحبه ، وأتمثل مصرع حمزة « خير الناس » ومسيلمة « شر الناس » على يده ، وأسأله هل شرب فأسرف في الشرب ؟ وضرب على ذلك فلم يمتنع عن

السكر ؟ وهل كان حقاً لا يجد سبيلاً إلى الفرار من الندم إلا إلى الشراب ، وهل ختم حياته الصالحة بهذا الشر المنكر ؟ وما عهدتني قط فى حياتى أقف على الارماس البالية المتداعية ، أخشع حيالها وأسكن إلى صمتها وأستنطقها تاريخ أصحابها كما يسجله الدهر ، وتمليه الحقيقة ، ويقتضيه المنطق ، وخرس القبر الأبكم الأصم فلم يجب السائل ولم يتحدث إلى الواقف ، ولكن معنىً واضحاً أشرق على قلبى وتمدد فى نفسى ، يقول إن وحشى المجاهد قد ظلم ظلماً كبيراً ، ونسب إليه ما هو منه براء ، ولم يكن كما وصف مدمناً يفزع إلى الخمر ليقتل ندمه الماثل وينسى ألمه الراذح

ورجعت إلى الكتب أستنطقها هى الأخرى عن حياة وحشى ، فاذا بها تتحدث إلى عن كل شيء ، وتقص لى ما تعرف فى هدوء المنطق وجمال الحقيقة ، ولكنها تنكر هـذا الشرب المتصل الذى ختم به وحشى حياته وضرب من أجله مرات ، والاسلام يمحو ما قبله ، فكيف اشتد الندم بالصحابى هــذا الاشتداد ، حتى لجأ إلى الخمر يعاقرها ويلهو بها ، وهو يعلم أن الله قد رضى عنه وغفر له حين دخل فى الاسلام ؟

ان الكاتب الأديب الروائى غير مطالب بالدقة التاريخية ، ولا هو مسئول حين يعمم القول ويرسله إرسالاً ، مادام قوله لا يناقض وجه التاريخ ولا يهدم ظاهر الرواية ؛ ولكنه مطالب مسئول حين يقرر شيئاً يخالف المأثور الواقع أو لا يقره التاريخ عليه ولا يؤيده الحق فيه

وما أرى إلا أن عظام الصحابى الجليل قد اهتزت فى قبره ، وضج الحمصيون لما نسب الى نزيلهم الكريم . ونحن خبيرون بثقافة الدكتور الواسعة العميقة ، وشدة تحريه فى كتب التاريخ الاسلامى ، واستقامة منطقه ونظرته ، فهل يدلنا الدكتور أو تحيلنا « الرسالة » على مصدر الرواية التى يصورها الأديب المثقف فيحسن تصويرها ويبدع فى سردها ، والتى لم نعثر عليها فيما بين أيدينا[1] من كتب التاريخ ومراجع البحث ؟

(حمص) محمد روحى فيصل

(١) لم نجد شيئاً فى « وفيات الأعيان » لابن خلكان ، ولا فى « الاصابة فى تمييز الصحابة » للعسقلانى ، ولا فى « فوات الوفيات » للكتبى ، ولا فى « تهذيب الأسماء واللغات » للنووى . انما قرأنا رواية موجزة فى حاشية « خلاصة الكمال فى تاريخ رجال الحديث » للأنصارى ، وهى : — قال عمر بن الخطاب : « ما زالت فى نفسى لوحشى حتى أخذ ، قد شرب الخمر بالشام فجلد حداً فحططت من عطائه الى ثلثمائة » وكان فرض له عمر فى ألفين — والكلام كما ترى من عمر وقد جلده حداً مرة واحدة ، ومعروف أن وحشى توفى أيام عثمان بن عفان ، فالرواية على هذا لا تثبت إدمان الشرب ولا معاودة الحد . وهناك أحاديث أربعة وقيل ثمانية مرويات عن وحشى ... ! !

من الاستعمار والجشع سيفضيان على الحضارة

مؤتمر الكتاب في باريس

لحفظ الثقافة

« للماركسية حلقة من سلسلة الثورات التي قام بها البشر »
(كهينو)

بقلم ماجد شيخ الأرض

احتشد نيف ومائة كاتب أموا باريس من جميع أقطار المعمورة في قاعة (قصر التواليه) وجلس وراءهم حشد عظيم من النظارة أتوا يشاركون الكتاب عواطفهم نحو المدنية التي يبحث عن درء الخطر الذي يتهددها ، ويستمعون إلى أقوال كبار الكتاب وآرائهم في المحافظة على مخلفات الثقافة التي ينعم الانسان بثمارها اليانعة ويحس بنشوتها إذا غمرت فضيلة العلم فؤاده ، وتفتحت أمام عينيه بعض أسرار هذا الكون العجيب المثلقة

هبت عاصفة من التصفيق الشديد ، وعلت أصوات الحضور بالهتافات لسير الثقافة مرفوعة الجبين بالرغم من معارضة الرجعيين عند ما انتهى اندره جيد من خطابه الذي افتتح به المؤتمر وأتى على ذكر غاياته وبيان أبحاثه ، وكأن الجمهور أحس بالواجب المقدس الذي حدا بفنان مثل جيد إلى الظهور من عزلته التي اعتادها طيلة خمسة وستين عاماً مسافراً يجوب البلدان والأقطار ، أومنزويا في بيته يدون آراءه وأفكاره في كتب لا يطبع منها إلا عدداً محدوداً ، كأن الجمهور شعر بالخطر الداهم الذي يحتم على كل فرد له ميزة من العقل والاحساس أن ينتبه فيصمد في جملة الصامدين .

لم يكتف الجمهور بالهتاف ، وما كاد جيد ينتهي من خطابه حتى تقدم إليه رهط من الشباب المثقف بلغ بهم الحماس مبلغه يريدون رفعه على الأيدي لولا أن حال دون بغيتهم الاعتذار وتطبيق نظام المؤتمر ، ثم لم تلبث عاطفة الحماس أن هبت من جديد لكن في هذه المرة كان يملوها حزن عميق ارتسم على الوجوه عند ما قام إلى المنبر عضو المؤتمر الكاتب (اراغون) يؤبن بعبارات رقيقة الكاتب الثوري (رنيه كريفيل) الذي قضى في منتصف الطريق التي يعمل فيها للحرية وإحقاق الحق ، وقد دمعت عيون بعض الفتيات إذ أتى الخطيب على فقرات مؤثرة للكاتب الراحل

كان انعقاد المؤتمر في مساء اليوم الحادي والعشرين من شهر يونيو الفائت ، ودامت الجلسات تترى بعضها في النهار وبعضها في المساء حتى الخامس والعشرين ، وقد قسمت الابحاث على عشر جلسات تناوب بعض الأعضاء رياستها ، وتعين لكل جلسة مقررين منهم . أما الابحاث التي تنوقش فيها وجرى إقرار ما يجب عمله بشأنها فهي :

تراث الثقافة . موقف الكاتب في المجتمع الانساني . الشخصية . الانسانية . الشعب والثقافة . الابداع عند الكاتب وقيمة الفكر . تنظيم مقررات المؤتمر . الدفاع عن الثقافة

ولمعرفة أهمية هذا المؤتمر يكفينا أن نذكر جيد ومالرو وكوتوريه وارغون ونيزان وكهينو وبندا من الفرنسويين ، وتولر وهنريخ مان من الألمان ، وفرانك من الأمريكان ، وإهرنبورغ وكولتسوف وتيخانوف والشاعر باسترنيك من السوفييت ، والسيدة كارن ميكائيليس الدانماركية ، والسيدة واديا ولعل اسمها وديعة الهندية وهكسلي وفورستر من الانكليز

بدت الجلسة الأولى جدية أكثر من أخواتها لأن بعض المؤتمرين لم يكونوا بعد قد تعارفوا وإن سبق تعارفهم روحياً منذ زمن طويل ، أو لأن الموضوع الذي طرحه المسيو بندا في هذه الجلسة كان دقيقاً وكان خطيراً احتدم حوله النقاش مع أن أكثر هذه الخطب كانت مهيأة من قبل ليتسنى لهم ترجمتها ، ولوحظ أن الخطب التي تطرق أصحابها فيها إلى السياسة هي الخطب التي تحمس لها الجمهور وأظهر إعجابه بها إلى حد كاد يخرجه عن المألوف في مثل هذه الاجتماعات ، حتى بتنا نقول إن في كل يوم مظاهرة ، تارة ضد الرأسمالية ، وتارة للحرية المهددة بالفاشستية ، وطوراً للطبقات العاملة التي لا تستفيد من الوضع الحاضر غير دفع الغرم . بل كيف لا يتحمس الجمهور وهو يرى الكتاب وقد وفدوا من أقصى الجهات وتحملوا أعباء السفر على اختلاف نزعاتهم وتباين آرائهم ليضعوا لهم نظاماً يحفظون به

تراث الثقافة التي خلفته لنا حضارة الانسان وليدة دمه المهراق وعرا كه المستمر

قال جوليان بندا ما خلاصته : « إن نظرة أمم أوربا للآداب والفنون تختلف اختلافا بيناً مع النظرة الشيوعية من حيث علاقة الحياة الفكرية بالحياة الاقتصادية

فان الأولى تعتقد باستقلال وسمو الحياة الفكرية عن الحياة الاقتصادية ، أما الثانية فانها تعتقد بتضامن الحياتين . فالاختلاف يبدو لنا أساسياً مما يجعل التسوية بينهما مستحيلة لابد لهــا من حرب

ثم هناك مسألة أخرى اختلف فيها الناس كثيراً : هل وجهة النظر الشيوعية المذكورة شيء جفائي من شأنه أن يقضى على وجهة النظر السائدة في الغرب ، ويقطع عليها الطريق ، أو أنها نتيجة سير وجهة النظر الثانية وتطورها ؟

فبعضهم يقول بأنها وليدة التطور والاتساع العام للمدارك عند الأمم الغربية ، يشبهونها بمذهب (الرومانتيسم) الذي كان وليد الاتساع الخاص للمدارك الأدبية

لكن الأمر على غير ما يتصورون ، فان الرومانتيسم برغم ما أدخله من العناصر الجديدة في الأدب لم يكف أصحابه عن الاعتقاد باستقلال الرجل الموهوب وبعده عن المؤثرات والأوضاع الاقتصادية

فبين وجهتي النظر الغربيـة والشيوعية إذاً تباين ليس في الرتبة أو المسافة ، بل في الروح والتكوين »

لم يكد ينتهى المسيو بندا من خطابه حتى قفز إلى المنبر العضوان الفرنسيان المسيو كهينو والمسيو نيزان ، وإليك خلاصة ما قاله الأول :

« إن الأمر أهون بكثير مما يتوهمه المسيو بنـدا ، فحسب رأيه إذا انتقل واحداً من هذه البلاد إلى بلاد الاتحاد السوفيتى فلا بد أن تستقيم له غير هذه الروح وغير هذا الدماغ للتفكير

لا حاجة عندى لكل هذا التغيير وإذا لم يكن بد من شيء فهو اتباع العقل في مجرى تدرجه الطبيعي

وليست الثورة البلشفية الأخيرة عن بواعث دينية أو إقليمية محلية ، بل هى حلقة من سلسلة الثورات الانسانية التى ابتدأت منذ أن دب الانسان على الأرض

ولست أرى في كارل ماركس غير مفكر من هؤلاء المفكرين الذين يظهر أمثالهم كل يوم في الغرب ، وليس هناك من شيء في رأيي يدفع بنا إلى مقاومة الماركسية ونبذها

ومن العبث والسذاجة أن نقابل هذا الخط الطويل من الآراء المثالية بخط مثله من الآراء الاقتصادية التي لا تقل في قدمها وفي تدرج حركتها عن الآراء الأولى

أما إنجاح الماركسية ، فتتوقف على الفئة التى تهتدى قلوبهم إليها وعلى مقدار إخلاصهم وتضامنهم ، ولا أظن أن هنالك فريقاً من البشر يلحقه خيرها وفريقاً آخر يلحقه شرها ؛ ما دام الناس في هذا العالم متشابهين من أكثر الوجوه ، وذلك ما يقوله لنا إحساسنا الداخلي في كل ساعة : إننا متشابهون . فان مصير الناس كلهم واحد ، كما يقول هوجو ، ومقدراتهم متشابهة سواء أكان الانسان عالماً أم عاملاً . أليست الحياة والموت محتمين ؟ ومشاكل العيشة العامة والخاصة تتشابه بدون استثناء ، وكل ما عمله الذين سبقونا وما نعمله لكشف خبايا هــذه الأسرار المحيطة بنا ، ما زال ويا للأسف ابتدائياً ، وهــذا ما يشجع فينا الشعور بالتشابه ، والشعور بالتشابه يجعل الاحساسات الشائعة بيننا واحدة ، وكلاهما يدفع بنا إلى إنشاء الحمية المشتركة في النفع والضرر ، بل نحن نعمل على إنشائها بدافع طبيعي فينـا ونريدها من صميم أفئدتنا »

وإليك خلاصة ما قاله المسيو نيزان :

« لا أستطيع الكلام بدون الاعتماد على التاريخ لأن ما جاء به الفيلسوف بندا يتضمن شيئاً كثيراً منه

لقد صور لنا المسيو بندا العالم الغربي في صورة متناسبة متناسقة تجمع شتى الأقوام وشتى الطبقات ، وأكثر ظني أن هذه الصورة لا تتفق مع صحائف التاريخ ، ومن المستحيل أن تكون لهذا العالم صورة جامعة متناسقة فيها تختلف العناصر البشرية الغربية مادامت مراجعها وينابيع حياتها مستقاة من مدنية الاغريق والنصرانية ثم النهضة الأوربية (الرينسانس) وعهد الاصلاح (الريفورم)

والثورات البورجوازية المختلفة . فأستطرد وأؤكد أن الدنيـة الاغريقية نفسها لم تـكن فى أيامها السوالف عمل جميع الاغريق

ينظر المسيو بندا إلى الغرب نظرة أفلاطونية ، نظرة إيجابية ، لا تتطلع إلا إلى الآثار الثمينة وإلى الأفكار من حيث هى أفكار رفيعة ، نظرة محدودة لا تعبأ بما تحت هـذه الآثار من دوافع واحتمالات غامضـة ، ولا تهتم بالحوادث البارزة التى سهلت تلك النتائج

صحيح أن هذه النظرة سادت برهة عند اليونان القدماء ، ثم أصبحت فيما بعد قوام التفكير النظرى عند الأمم الأوربيـة البورجوازية

لـكن مذهب أفلاطون ليس كل ما عند الأغريق من مذاهب للتفكير

أنى المسيو كهينو فيمن ذكرهم على اسم ابيقور الذى كان يوجه كلامه إلى العبيد الأرقاء ، وهو الرجل الذى ما كان يتوخى تطهير جمهرة مختارة من البشر ، ولا كان يستنسب جلسائه بين طائفة متميزة منهم ، واليكم الآن مجمل ردى على المسيو بندا :

إن هذه الطائفة المثقفة التى شاء أن يسميها بالعالم الغربى نقبل كل انتقاد يمكن أن يوجه اليها ، أو إلى الأوضـاع التى تعيش فيها ، ونرحب بكل تحوير ممكن لهذه الأوضاع يكون فى جانب الطبقات التى تحيا وتفـكر ، وتجوع وتموت . ونقبل فى آن واحد أن نؤمن ونشك فى كفاءة الانسان وقدرته ، كما قبل ذلك كارل ماركس فى كلامه عن الانسان (الذى اكتنى حاجاته) ونحن قبل كل شىء نرفض المتقدات الدينية ، والصفات الالـهية رفضاً باتاً ونعتبرها — كما اعتبرها ابيقور وكتاب فرنسـا فى القرن الثامن عشر — أشياء تتمثل فيها مخاوف الانسان وأثر اضطهاده

أما موقفنا من وجهة النظر الغربية فهو ليس قطعاً لها وانفصالاً عنها ، بل هو موقف النور المادى الذى يقبل الحالين معاً فيتسع إلى أقصى حد ويضيق إلى أقصى حد

ونحطم بالحجة الدامغة هذه الميثولوجيا الانسانية التى تريد منا أن نعبد ونمجد انساناً غامضاً نجهل وجوده ، وتحملنا على أن ننسى أو نتناسى أننا للآن لم نكن متساوين فى الآلام ، وفى الانتصارات ، وحتى فى الموت »

يتبين لنا من خلال الخطب الثلاث التى تخيرنا تلخيصها فى هذا المقال ، المنطق الذى جرى عليه الخطباء فى بقائهم ، فلا سبيل إلى الحشو والتنميق ، وكانت الأبحاث على بساطة انشائها دقيقة إلى حد كبير ، يقرأها القارئ الفطن بدون عناء ، فتتجلى أمامه المشاكل الكبرى التى طالما دوخه التفكير فيها محلولة لا تحتاج لغير التنفيذ ، وكأنما العالم مريض أصيب بداء عضال عالجه هؤلاء الكتاب فأحسنوا التشخيص وأحسنوا الدواء

ولعل أكثر جلسات المؤتمر حماسة هى الجلسة التى بحث فيها الكتاب موقفهم من المجتمع ، فكانت مظاهرة علمية قامت ضد الظلم والجور والاضطهاد ، وكيف لا يتظاهر الكتاب للحرية المغتصبة ، والحق المضاع ، وهم رسل الحرية ورواد الحقيقة ، بل كيف لا يثورون وبينهم قسم كبير طردوا من بلادهم بعد أن أحرقت كتبهم وسيموا أنواع العذاب والتنكيل ، لـكن هذا الحماس ما لبث دقائق حتى عاد الكتاب يبينون آراءهم فى جو مشبع بالهدوء والسكينة

شكت كارن ميكائيليس مندوبة الدنمارك من أن الكتاب لا يأبهون كثيراً إلى المهمة التى خلقوا لها ، ولا يقدرون الدور الذى يجب أن يلعبوه على مسرح الحياة حق قدره فيؤدوه خير أداء ، إن الكتاب بحكم وظيفتهم أدلاء ، ومن واجب الدليل أن يكون فى الطليعة ، لـكنهم يخشون العزلة ، وتراهم يفتشون عمن يحل محلهم ، ثم يلتجئون إلى حلقة منزوية من أصحابهم وزملائهم ، يصوبون جامات الغضب على القادة المضلين ، لـكن همسهم هذا ويا للأسف لا تسمعه غير آذانهم . . . .

وشكا جيد من قلة اخلاص الكتاب فيما يكتبون ... وشكا مالرو من تدجيلهم لنيل المال والجاه . . . .

والخلاصـة قد أوضح الكتاب أن المجتمع البورجوازى لا يمكن الكاتب من أن يخلص فيه لفنه وأدبه ، وقد شذ بعض القصصيين الانكليز ، اذ أطروا الحرية التى يمنحهم إياها النظام الدعوقراطى القائم فى بلادهم ، لـكن وجد من بينهم من تصدى لهذه الفكرة ، وأبان لهم ان هذه الدعوقراطية البورجوازية التى يتبجحون بها لا تشمل غير طبقتها وهى مع ذلك صائرة الى

الزوال يتآمر عليها أبناؤها البورجوازيون

نشطت حركة الحاضرين في إحدى الجلسات نشاطاً زائداً واشرأبت الأعناق وحملقت العيون وأخذوا يتهامسون بكثير من الدهشة: « مندوبو السوفييت » كأنما هؤلاء هبطوا عليهم من جرم سماوي لم يأتوهم من بلاد تدعى الاتحاد السوفييتي فوق هذه البسيطة ، يريدون استطلاع ما ظهر من هيئتهم وما استتر . ثم ساد سكون رهيب استعداداً لسماع الرد المستمد من التجربة الصحيحة على ما جاء في خطاب المسيو بندا ، غير أن مندوبي السوفييت خيبوا هذا الظن واكتفوا برد المسيو كيينو والسيو نيزان ، وأتوا على وصف بعض مناحي الأدب السوفييتي الجديد

وقال إهرنبورغ صاحب كتاب (ثاني أيام الخليقة) ما خلاصته :

« اذا كان الكاتب في المجتمع البورجوازي يكرم ويمجد باعتبار انه قام بخدمة وطنية تعادل الخدمات التي يقوم بها أمثاله في البلاد الأخرى ، ويقرأ كتبه من أراد أن تسمو مداركه أو أن يجد لذة يملأ بها أوقات فراغه — والقراء في هذا المجتمع من توفرت أسباب حياتهم قليلون — واذا كان القراء لا يقرأون الأدب بقصد أن يستمينوا بما يقرأونه في حياتهم الخاصة والعامة وأن يجدوا فيها هدياً لقلوبهم وسمواً لنفوسهم وما يضمرون ، فلا يكون لما يشاهدونه في ليلتهم من عواطف نبيلة على أحد المسارح أو لما يقرأونه في إحدى القصص ، من تأثير فيما يعملونه في نهارهم . وكثيراً ما تخالف أعمالهم ما اختلجت في الليل قلوبهم له . اذا كانت هذه قيمة الأدباء في المجتمع الأوروبي فاني أقول بكل فخر :

اننا توصلنا الى أن يكرم الكاتب والشاعر في الاتحاد السوفييتي على أنهما يؤديان عملاً مثل سائر الأعمال الحيوية التي لا يستغنى عنهما بحال من الأحوال . فقراءة الأدب للمزارع والعامل ولأي شخص آخر مثل قمحه ولبنه وثوبه ومأواه . يقرأه فيلتذ ، لكنه لا يقتصر على هذه اللذة ، فانه يفتح قلبه له فتهديه هذه العواطف النبيلة التي للأدب في حياته وفي عمله اليومي

هذا هو تأثير الأدب السوفييتي ، مع أنه ما يزال طفلاً لا يحسن الكلام بدون تتمة »

كانت خطب مندوبي السوفييت على هذا النمط : استعراض للموضوع في المجتمع البورجوازي ، ومقارنة ما استجد في بلادهم بشأنه مع بيان أوجه الانتقاد ، وما حدا إلى نبذ الأسلوب القديم

* * *

لا عجب أن نرى الكتاب في العالم المتمدن يهبون للدفاع عن الثقافة من عاديات الزمان ، وهم حملتها ورافعو لواء مجدها ، بل ومن حقهم قبل كل انسان آخر أن يهتموا لهذا الأمر في مثل هذا الوقت العصيب الذي ينذر العالم بالشر وسوء المصير ، ألم تر المدنيات القديمة التي لو بقيت لكانت للانسان مدنية تفوق مدنيته الغربية بمراتب — كيف اندثرت وعقتها الحروب والمنازعات والوهن الذي إذا دب إلى جسم أمة قضى عليها بالتفسخ والانحلال

وليست أوروبا اليوم بأحسن مما أشرنا اليه ، فان النزاع على الممتلكات الاستعمارية ، والتفاخر بالقومية ، وتفاقم جشع الناس ، وتفشي الأثرة بينهم أرزاء تنوء تحتها الثقافة وستؤدي إلى أوخم العواقب

ماجد شيخ الارض

في العدد التالي سننشر ملخص مقال الأستاذ أندريه جيد

عرض لإحدى مشاكل الأدب الانكليزي

هل ألف شكسبير رواياته ؟

بقلم جريس القسوس

أخي ح . ش .

كتبت إليَّ تسألني أن أجلو لك حقيقة هذا النابغة ، الذي على سعة شهرته وذيوع اسمه في مختلف الأزمان والبلدان ، مازال مبهم الشخصية ، مجهول الهوية ؛ وما فتئ الكثيرون من الأدباء في انكلترا وفي أمريكا يرتابون في أمر تأليفه الروايات المنسوبة إليه ؛ فتراهم في كل حين يكتشفون لها مؤلفاً جديداً غير شكسبير ، مؤيدين آراءهم بأقطع البراهين وأقواها

ولقد بلغت هذه المسألة من الأهمية وخطورة الشأن ما جعل الأدباء ينقسمون إلى مدرستين ، الأولى تنتصر لشكسبير وتعضده وتعرف هذه بمدرسة مستقيمي الرأي (أورثوذكس) بينما الثانية وهي اللاستراتفوردية Anti - Stratfordian ـ نسبة إلى ستراتفورد قرية شكسبير ومسقط رأسه ـ تجرّده من كلّ صبغة أدبية ، وتتهمه بضعف الارادة والجهل ، فهي لا تودّ أن تنسب هذه المؤلفات الرائعة إلى امرئ كشكسبير وضيع النسب ، نشأ نشأة الوضعاء من عامة البشر ، فلم يلتحق بمعهد عال أو يتفقّه على مدرّب كبير

إنه لمن العار بل من الحرام ـ على رأيهم ـ أن تنشأ العبقرية في الأكواخ ؛ وإنه لمن الشائن المزري إذن أن تعزى هذه الروايات على ما فيها من روعة وجلال إلى شكسبير العامي القروي . في ذلك يتفق أصحاب هذه المدرسة ، غير أنهم يختلفون في أمر مؤلفها

أما أوّل الأدباء الذين نسب إليهم تأليف روايات شكسبير ففرنسيس بيكون Francis Bacon (١٥٦١ ـ ١٦٢٦) الفيلسوف الانكليزي الشهير ، وأوّل واضع أسس النظرية البيكونية Baconian Theory ؛ فهربرت لورانس Herbert L'awrence ، إذ ألّف سنة ١٧٦٩ كتاباً سماه (مجازفات في الذوق السليم) Adventures in Common Sense ؛ بيد أن هذه الآراء لم تثر اهتمام الأدباء ولم تحرك لهم ساكناً مدة نصف قرن أو أكثر . بعد ذلك لقيتْ لها أنصاراً عضدوها بالمؤلفات العديدة ، منهم ج . س . هارت J. C. Hart في كتاب ألفته سنة ١٨٤٨ ، وفي مقالة موضوعها « من ألف روايات شكسبير ؟ » نشرت في التشمبرز جورنال Chambers' Journal ؛ ومنهم و . هـ . سمث في رسالة بعث بها الى لورد اليسمير Ellesmere موضوعها « هل ألّف بيكون روايات شكسبير ؟ » ومنهم أيضاً الكاتبة ديليا بيكون Delia Bacon في كتاب اسمه « كشف القناع عن فلسفة روايات شكسبير « The philosophy of the plays of Shakespeare identified »

وقد ظهر مؤخراً غير هؤلاء في انكلترا وفي أمريكا كاللورد بنزانس وسر . ت . مارتن ، و ج . قرينود وغيرهم من مشاهير الأدباء وكبار النقدة ممن عززوا النظرية البيكونية ، وحملوا على شكسبير حملة كادت أن تمحو اسمه محواً ؛ وتدحر جيش أنصاره دحراً

ويبني معظم أنصار بيكون حجتهم على النقط التالية :

(١) إن سر توبي ماثيوس Sir Tobie Mathews بعث سنة ١٦٢١ برسالة إلى بيكون يمتدحه فيها ويعدّه « أنبغ من أنجبت انكلترا ، ومن عاش على هذا الجانب من البحر ، في العصر الحاضر »

(٢) إن في روايات شكسبير بعض فقرات ومفردات تدل على تبحر مؤلفها في العلم وتعمقه في الفلسفة والقانون مما لا يمكن أن يعزى إلى شكسبير كما يظهر في ترجمة حياته المعروفة

(٣) إن في روايات شكسبير مشاهد وأبياتاً تشهد بأن ناظم عقدها أرستقراطي النزعة والنشأة . مثالُ ذلك أنه : يسخر بالرعاع ، ويزدري عامة البشر في كلّ من « يوليوس قيصر » و « كور يولانس » سخرية وازدراء لا يمكن أن يصدرا من شكسبير القروي الوضيع النسب ، إن ذلك لامظهرٌ من مظاهر نبذ الأرستقراطية للعامة وكراهيتها لها ، واعتزازها برجالها ، وفي مقدمتهم بيكون

(٤) أما آخر هذه البراهين ، والتي عليه يبني جميع خصوم شكسبير ، على اختلاف أشخاصهم ، آراءهم واعتقادهم الراسخ في

أن شكسبير على ما فى نسبه من ضعة ، وفى نشأته من حقارة ، وفى علمه من نقص ، وفى خلقه من مغمز ، وفى حياته من غموض وإبهام ، لا يمكن أن يكون مؤلف تلك الروايات الخالدة ، التى تشهد لصاحبها بعبقرية تفوق كل عبقرية ، ونبوغ هو فوق كل نبوغ ، كيف يمكن هذا ، ما دام هناك بيكون الفيلسوف الكبير ، والنابغة الفذ الذى شغل أهل زمانه ، وملأ أسماعهم وأبصارهم ؟

ويأخذ أنصار شكسبير هذه الحجج ويفندونها واحدة واحدة . فيقولون — مثلاً فى الرد على الحجة الأولى إن (سر توبى ماتيوس) لم يعن فى رسالته بيكون الفيلسوف ، وإنما عنى راهباً يسوعياً آخر اسمه طوماس ساوزويل Thomas Southwell كان يعرف بلقب بيكون . مع كل هذا يرى أنصار شكسبير — مسلمين جدلاً بأن سر توبى يعنى الفيلسوف بيكون — أن ليس فى هذا ما يدل كل الدلالة على أن بيكون إنما هو مؤلف روايات شكسبير . إن هى إلا العاطفة ، عاطفة الصداقة العمياء هذه ذات التعميات والأحكام الجارفة

أما فيما يخص الأشعار فليس فى البقية الباقية من شعر الفيلسوف بيكون ما يدل على أنه شاعر بالمعنى الصحيح ؛ ذلك الشاعر الفذ الذى يمكن أن يعزى إليه نظم تلك القطع الرائعة التى تتخلل معظم رواياته وخاصة الأخيرة منها

هذا أما المفردات أو الفقرات العديدة الواردة فى روايات شكسبير والدالة على تبصر فى العلم وتبحر فى الفلسفة والقانون والمام بأغلب الفنون فلم تكن مقصورة على شكسبير أو على بيكون وحدهما . فقد كانت بحق ملك جميع المؤلفين فى عصر اليصابات وبالأخص الأخير منه . إذ شاع فيه التقليد والنسج على منوال الأولين . فالذى يجوز لنا الارتياب فى أمر تأليف شكسبير لهذه الروايات على هذا الأساس الواهى ، يجوز لنا أيضاً الاشتباه فى غيرهم من الكتاب والشعراء

وعلاوة على هذا يرى أنصار شكسبير ان ليس فى هذه الروايات ما يدل على المام واسع بالعلوم والفنون أو تعمق فى الفلسفة والقانون ، إلماماً وتعمقاً يصح معهما أن ينسب تأليفها الى بيكون صاحب النظريات الفلسفية الخالدة والنثر الأدبى الرائع أما القول بأن مؤلف هذه الروايات لا بد أن يكون ارستقراطى النسب والنزعة كما يظهر من شعوره نحو الرعاع وخصوصاً فى « يوليوس قيصر » و « كور يولانوس » فليس بالقول الذى يعتمد عليه فى بنيان مثل هذه النظرية وتحقيقها . إذ ما روايات شكسبير إلا مملكة كبيرة ، فيها الملوك والنبلاء ، والرعاع والعلماء ، وفيها الجنود والصناع ، والأرواح والآلهة ، كلٌّ منهم يفكر ويقول ويعمل حسب طبيعته ونزعته ، وعلى قدر قوته ومعرفته ، غير مقيد برأى الشاعر أو عقيدته الخاصة . بذا يمتاز شكسبير عن (برونتنج) خاصة وعن باقى الشعراء والكتاب عامة . فما الرعاع فى الحقيقة إلا من هذا البشر الذى توخى شكسبير فى تصوير طبيعته ونفسيته الصدق والعدل

هذا بعض مما يقوله أنصار شكسبير فى الرد على خصومه ، غير أنهم لا يقفون عند هذا الحد ، بل يوردون الحجج الايجابية الدامغة التى تؤيد آراءهم كل التأييد . من ذلك قولهم إن حياة شكسبير ليست محاطة بالابهام كما يظن خصومه . فلو استعرضنا تراجم معاصريه من الأدباء لألفينا فى جميعها — اللهم إلا من اتصل منهم بالسياسة أو القانون وكان له فيها شأن كبير — غموضاً وابهاماً يساويان ، ان لم يزيدا ، ما فى ترجمة حياة شكسبير من غموض وابهام

ويرى أنصار شكسبير أيضاً أن لديهم تقارير عديدة تدل على اتصال الشاعر بالمسرح وانشغاله بأموره مدة ليست باليسيرة . وفى بعض رواياته نلمح ما يدل على إلمام الشاعر بفن المسرح ودقائقه . يحضرنا من ذلك — على سبيل التمثيل — ما جاء على لسان هملت فى تلقينه الممثلين سبل الالقاء والتمثيل تلقيناً يشهد له — أى لشكسبير — بطول الباع فى هذا الفن . وليس فى ترجمة حياة بيكون الضافية ، ما يدل على ولوعه بالتمثيل أو كلفه بالمسرح .

أما ادعاء خصوم شكسبير أن ما فى رواياته من مفردات فى القانون ، يكفل لبيكون — وهو بالطبع قانونى — تأليفه الروايات لحجة واهية ، من السهل دحضها . فقد كانت لندن فى عصر اليصابات تكتظ بطلاب الحقوق هواة المسرح ، فكان لشكسبير فى ذلك فرصة سانحة لمجالستهم والاستماع الى أحاديثهم التى تدور ، فى أغلب الأحيان ، حول القانون . هذا عدا تجاربه واختباراته فى هذا الفرع كان أحد الملاك أو التجار

ومن البيّنات الواضحة التي يعتمدها أنصار شكسبير في الردّ على خصومه ، وورود اسم شكسبير مع التعليق على فنه في بعض النسخ الأولى من رواياته مفردةً Quartoes ومجموعةً First Folio وفي مجموعة سونيتاته Sonnets ومذكرات معاصريه ، وخاصةً فرنسيس ميرز Francis Meres في كتابه « بلادس تيميا Palladis Tamia » وروبرت جرين Robert Green في تهكمه اللاذع على شكسبير ، وفي قصيدة بن جونسون « Ben Jonson » التي فيها يخلّد « وزّة أفون Swine of Avon »

وقد ظهر مؤخراً غير بيكون مرشّحون آخرون لروايات شكسبير ، منهم «لورد رتلند الخامس عشر Lord Rutland 15 th» ومنهم كونت دربي Derby ولكن أحدثهم ظهوراً وأشدّهم خطراً على المثل الستراتفوردي ديفر ارل اوف اوكسفورد السابع عشر . فقد وضع ج . طوماس لونلي Loonly سنة ١٩٢٠ كتاباً في هذا الموضوع سمّاه « إثبات شخصية شكسبير في دي فير ارل أوف أوكسفورد » Shakespeare identified in Edward De vere the 17th Earl of Oxford »

وآخر كتاب ظهر في هذا الموضوع هو لمونتاجو دوجلاس Montagu Douglas رئيس جمعية أدبية [1] أخذت على نفسها معاضدة دي فير ودحض آراء أنصار شكسبير . فقد وضع كتاب « ارل أوف أوكسفورد لشكسبير The Earl of Oxford as Shakespeare » وهو يجمع باختصار كل ما يمكن أن يقال في هذا الأديب كمؤلف للروايات المنسوبة لشكسبير

أما النظرية الشيخزبيرية [2] فما هي في الحقيقة بنظرية ، وإنما هي خرافة أكبر عامل في خلقها التشابه الظاهر بين اسمي الشيخ زبير وشكسبير . ليس هذا فحسب ، بل إن علاقة شكسبير الغرامية مع « السيدة السمراء » « The Dark Lady » ، ويظن بعضهم أنها مصرية — وحبه للخيول وخاصة خيول رواد المسرح وما في رواياته من امتداح لجزيرة العرب وتغنٍّ بسمائها وطيرها « فونكس Phoenix » وزهرها وشجرها ، كل هذه بعض من الشواهد التي قد يتخذها هواة النظريات أساساً للنظرية الشيخزبيرية

ولقد غرب عن بالي أن أذكر لك أن من الأدباء من يعزو إلى شكسبير تأليف نحو أربعين رواية أخرى ، ومنهم من يرى أن شكسبير لم يؤلف كل رواياته ، بل شاركه في ذلك كتّاب آخرون كبيمونت وفليتشر ، وخاصة في « تيطس أدرونيكس » وثلاثة أجزاء : « هنري السادس » ، و « تيمون أثينا » ، و « بيركليس » ، و « هنري الثامن »

هذا عرضٌ موجز لما يمكن أن أخبرك به في هذا الموضوع ، ولا أنكر عليك أنني بعد دراسة حجج الفريقين وتمحيصها بكل دقة — أراني ميالاً كل الميل إلى المدرسة الستراتفوردية . ولا أشك في أن النجاح سيحالفها ، مهما وُجّه إليها من نقد لاذع ، ولشكسبير من تهم هو بريء منها

الكرك : شرق الأردن — عيسى القسوس

مصادر المقال

1. Neilson and Thorndike's The Facts about Shakespeare
2. Harvey's Oxford Companion to Eng Literatnre
3. Prof. Byron Smith's Lectures on Shakespeare
4. Douglas' M. W. The Earl of Oxford as Shakespeare
5. The Encyclopedia Britanica,(Shakespeare)
6. J. Qusus' Shakespeare and Sheik Zubeir

(١) Shaheapearean Fellowship

(٢) نسبة إلى الشيخ زبير

تبتغي أمها

للشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى

دفنوا فى حفيرة أمّ سلمى   ثم عادوا يجرّرون الذيولا
كتموا عن سلمى الصغيرة موت الـ   أمّ حقاً وآثروا التضليلا
سألتهم والعينُ بالدمع شكرى   غير مخدوعة بما قد قيلا
أين أمّى عودوا إلىّ بأمّى   أنا لا أبتغى بأمّى بديلا
أنا إن لم ألعب بجانب أمّى   لم يجد للافراح قلبى سبيلا
أنا إن عشتُ وهى تبعد عنى   كان عيشى علىّ عبئاً ثقيلا
إنها لى تُنيم فى الحضن منها   وتغنّى لى بكرةً وأصيلا
وإذا ما بكيتُ تمسح دمعى   بيديها منعاً له أن يسيلا
ثم من حبها تقبّلنى فى   وجناتى فتُحسن التقبيلا
ثم تعطينى دُميةً هى ما أصـ   ـبو إليه حُبَّ الخليل الخليلا
دُميتى بنتى مثلما أنا بنتٌ   لِأميمى التى رعتنى طويلا
ثم تُهدى إلىّ شيئاً من الحلـ   ـوى فيغدو الحلوى لهمّى مزيلا
أرجعوا لى أمّى الحنونَ فإن لم   تُرجعوها يكون خطبى جليلا
وإذا ما لم تُرجعوا لىَ أمّى   أملأ الأرضَ والسماء عويلا
أنا فى حاجة إلى عطف أمّى   أيها الناس فارحمونى قليلا
هى أمّى التى فتحتُ عيونى   أجتلى وجهها فكان جميلا
ورضعتُ اللبانَ منها فكان الثـ   ـدىُ منها لى منهلاً معسولا
إننى عند غيبة الأمّ عنى   لا حناناً أرى ولا تدليلا
أرجعوا لى أمّى ولا تخدعونى   بالأباطيل إن صبرىَ عيلا
وإذا صحَّ أن أمّىَ أودَت   فاجعلونى لقبرها إكليلا

(بغداد)   جميل صدقى الزهاوى

مناجاة الأمل

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

ألا عِدْ وأخلف أنت بالوعد مانح   فمطلك مغفور وخيرك راجح
ولم تك مثلَ الآلِ فالآلُ مُهلك   ووحيك أسخى ماتضم الجوانح
وكم ناقم من خلف وعدك لا غنى   له عنك أو تغنى المنايا اللوافح
وأعشقُ مَن يهواك مَنْ هو ناقم   وأمدحُ مَن يرجوك مَن هو قادح
تَشاوى هموم قد تُدِيرُ عليهمُ   كؤوساً فتفترُّ الثغور الكوالح
سلام على الدنيا ورضوان راحم   إذا ضاء نجم منك فى الأفق لائح
عفاءٌ على الدنيا وهُلْكٌ ونقمةٌ   إذا لم تكن والمرء بالعيش رازح
وكم فى ثنايا اليأس منك كوامن   إذا فنيتْ فالعيش فانٍ وطائح
أيا بهجة العمران لولاك لم يكن   فلا شَيَّدَ البانى ولا كدّ كادح
إذا اشتدت اللأواء زدت تألقاً   كذاك سواد الليل للنجم قادح
وليس بعيب أن تُراد لمحنة   فمن ذا يريد النجم والصبح واضح
أيا بلسم الأحزان لولاك لم يعش   على عَنَت الدنيا لهيفٌ ونائح
معين على البلوى معين على الضنى   إذا لم يكن فيه معين وناصح
ويا حادىَ الركبان فى العيش مثلما   حدا الركبَ فى الصحراء حادٍ وصادح
ويا رحمة الله التى عمت الورى   ولم يخل منها جارم النفس جامح
على صاحب الكوخ المهدم مشرق   ببشرى ورب القصر راجٍ وطامح
وأسعد ما تُلْقَى إذا كنت ماطلاً   فكل طليب شائق وهو نازحُ
رست بك فى لج الحياة نفوسنا   فلم تتقاذفها الهموم السوارحُ
لشيّدت للايمان فى قلب آملٍ   معابد قد ضمت عليها الجوانحُ
ثبات وصبر واعتزام وهمة   فضائل نفس كلها أنت مانح
ولولا مساعٍ أنت عاقد أمرها   لآثر عقر الدار غادٍ ورائح
تكاد تنير الليل إمّا توقدت   أمانىُّ تذكو حين تخبو المصابح
تأرج من ذكراك نفحة خاطر   أأنت أريج من شذا الزهر فائح
وإن غَنِىَّ الناس من أنت ذخره   وأىُّ غِنى يغنى وضوؤك نازح

وسائل من جدواك أنت استثرتها ... وتفتق إن لحت النهى والقرائح
وكم لك دون النفس وحى وهمسة ... إذا نطقت تعيا اللغات الفصائح
وكم من غريق أسقط الجهد كفه ... فالحت إلا وهو فى اليم سابح
منحت حياة مرة بعد مرة ... وتبخل بالعيش النفوس الشحائح
ورب حبيس أنزل السجن ظلمة ... عليه ونور منك فى السجن لائح
أياطائراً يشدو وفى النفس أيكه ... فيخفت فيها بأسها المتناوح
ويا آسى الأحزان والظلم والضنى ... ولولاك أعيا الطب مود وطائح
تحلل أنات الشقاء ونوحه ... فتعذب فى الاسماع حتى النائح
خامت على الأيام أحسن خلعة ... فيحظى بعيش شره والقابح
سقيت فأنسيت المؤجل من ضنى ... ومن وخط شيب فى غد وهو واضح
وأنسيت أن الشر حتم مقبل ... وأن المنايا غاديات روائح
تضاحك فى يأس ونحس وكربة ... كأن الرزايا عابثات موازح
بها مؤنس من طيب عهدك عاطر ... بشائر فى لأوائها ومفارح
وتخلق منك النفس دنيا سنية ... وفى أفق منها النجوم اللوائح
مباديك شتى كالأزاهر جمة ... ففى كل حال موطن منك صالح
أياسحر إن لم تغن فالسحر كاذب ... مغاليقه فيما تريد مفاتح
تعللنا بالسعد من بعد ميتة ... فتحسن فى مرآك حتى الضرائح

عبد الرحمن شكرى

ذهب الشباب

للأستاذ فخرى أبو السعود

ذهب الشباب وغاض ذاك الرونق ... لم يبق إلا حسرة وتحرق
لم يبق إلا ذكر عهد زائل ... إذ أنت أملح من يحب ويعشق
حال الجمال فلا قوام مرهف ... يصبى النفوس ولا محيا مشرق
ما أنت إلا الروض صوّح بعد إذ ... هو مثمر نضر الأزاهر مورق
ولقد يجاد الروض بعد جفافه ... ويجد من أبراده ما يخلق
وأرى جمالك ليس يبعث ميتة ... شمس تضىء ولا غمام يغدق
ولقد يروق الزهر بعد ذبوله ... ويظل منه ريحة تتنشق
ورأيت حسنك حين أدبر لم يذر ... إلا قذى يؤذى العيون ويوبق
إلا مقابح كم تحاول سترها ... فتنم من دون الطلاء وتنطق
قد جف عودك والصبا مازال فى ... أعطاف غيرك ناضراً يترقرق
ألوت بقدك بعد لين مهزه ... غير الزمان وما عليها موثق
رهلته فى حيث تجمل دقة ... وهزلته حيث الجزالة أخلق
فغدت تقحمه العيون وطالما ... قد راعها منه الرواء المونق
وتبدل الطبع المحبب لم يعد ... دل يشوق ولا شمائل تيتق
وتطامن القلب الأبى وإنه ... بالأمس للحصن المنيع المغلق
ومضى شماس كان فيك سجية ... فاليوم فيك وداعة وترفق
واليوم فيك تلطف ومودة ... كم كان يخطبها المحب الشيق
وتخلفت بك فى الهوى أسبابه ... ولقد عهدتك سابقاً لا يلحق
ولقد علمتك فى الملاحة مفرداً ... ما لاح من حسن جوارك يمحق
كانت لحسنك دولة فتفرقت ... هيهات يجمع شملها المتفرق
نثرت كنانة عابديك وكلهم ... سال لعهدك أو لحالك مشفق
وانفض منهم مخلص ومنافق ... وأقل مدحك صادق وممَلِّق
وغدوت يعض الناس حيث تسير لا ... مجد يحف ولا جلال يحدق
تبدو، فلا حدق العيون مبادر ... لهفاً إليك ولا الجوانح تخفق
وتبين، لا قلب لبينك مدنف ... عان ولا جفن لذكرك يأرق
تبت القلوب وكنت قبل محكماً ... فيهن تأسر ما تشاء وتعتق
وإذا القلوب تغيرت وتفرقت ... عى الحليم بجمعها والأخرق
سكنت نفوس كنت أمس عناءها ... ولعلك اليوم المعنى المقلق
ولى جمالك والطبيعة لم تزل ... تزهو وترفل فى الضياء وتعبق
تمضى على عاداتها ما راعها ... حسن تصوح أو شباب ينفق

فخرى أبو السعود

فصول ملخصة فى الفلسفة الألمانية

٢١ – تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

الناحية السلبية من مذهب نيتشه

الانسان

للأستاذ خليل هنداوى

يقول نيتشه مبيناً نظرته فى مجموعة القيم الاجتماعية : أنا لا أدرى إذا كانت الحياة بذاتها جميلة أو قبيحة . لا شيء عندى باطل إلا هذا النزاع المستمر بين المتفائلين والمتشائمين . وأى انسان فى الوجود يحق له أن يُقدّر قيمة الحياة ؟ أما الأحياء فلا يقدرون لأنهم فريق من المتجادلين المتخاصمين . والأموات — وإنهم لأجدر بألا يجيبوا — لأنهم أموات . فلا أحد بقادر على إبداء قيمة الحياة ، وإنى لأجهل كل الجهل إذا كان وجودى خيراً أو عدمى ؟ ولكنى فى اللحظة التى أحيا فيها الآن أريد بأن تكون الحياة فياضة مضيئة لامعة فى نفسى وخارج نفسى . فأقول إذ ذاك — نعم — لكل ما يجمّل الحياة ويجعلها جديرة بأن تحيا . وإذا تبين لى أن الضلال والوهم يساعدانى على تذوق الحياة أقول — نعم — للضلال والأوهام . وإذا بان لى أن الصفات السيئة مهما كانت ألوانها تساعدنى على انتصار حيوية الانسان أقول — نعم — للخطيئة والشر ، وإذا اتضح لى أن الألم هو أنجع من السرور فى تهذيب النوع الانسانى أقول — نعم — للألم وأقول — لا — لكل ما يمسخ حيوية الشجرة الانسانية ، وإذا اكتشفت أن الحقيقة والفضيلة والخير وكل ما اصطلح البشر على احترامه من تقاليد وشرائع تضر بالحياة أقول — لا — للعلم والمعرفة والخير

— ٢ —

يبحث الآن نيتشه كيف نشأت بين الناس هذه القيم الاجتماعية ويصور التأثير الذى تركته فى روح الرجل الغربى الحديث ، نقّب نيتشه فى أصول المذاهب الخلقية التى تواضع عليها البشر فألفى أن أصولها المتشابهة تعود إلى فضيلتين اثنتين توزعت عنهما كل الفضائل : فضيلة الأسياد والسلالات القوية الحاكمة ، وفضيلة العبيد والضعفاء الأذلاء

وإنك لواجد فى منشأ الحضارة الأوروبية هذا العمل الذى ولد هذين المذهبين . فهناك طائفة محبة للقتال ، وعصابة من الرجال المفترسين الذين يسطون على طائفة جانحة للسلم ، نافرة من الحروب كما هو الأمر فى الحضارة اليونانية الرومانيـة ، التى تلاشت إزاء هجمات الأقوام الجرمانية . إن الرجل الشديد المعتمد على نفسه ، تموج فى صدره رغبته بتعيين قيم الناس والأشياء بنفسه . وليست فضيلته إلا بهجته الراقصة بشعوره بقوته وكماله . يدعو « حسناً » من كان يماثله شرفاً وسيادة ، ويدعو « رديئاً » من يختلف عنه . الخير عنده ما هو إلا مجموعة تلك الصفات الطبية والخلقية التى يقدّرها فى نفسه وفى أقرانه . يُبهج نفسه أن يكون قوياً وقديراً . يعرف أن يُخضع غيره ويُخضع نفسه . يقسو على نفسه كما يقسو على سواه . يُقدس هذه الصفات عند الآخرين ويحتقر الضعف والجبن حيث ظهرا ، يسخر من عاطفة الشفقة والنزاهة ؛ ومن كل الفضائل السائدة اليوم ، لأنه لا يراها صفات تليق بسيد . يُعجب بالقوة والقسوة والخداع ، لأن هذه الصفات تحقق له ظفره فى النضال ، يحترم الميثاق عند أمثاله الأقوياء ، ويجد نفسه فى حل مع العبيد الضعفاء ، يُنكل بهم إذا أراد نكالاً ، ويسعدهم إذا أراد إسعادهم . له الأمر فى أمرهم . يبذل روحه فى سبيل قائده وأميره ، ويكرم شيخ قبيلته ، ويحترم تقاليد أهله

ألا إن الفضيلة الأرستقراطية لفضيلة قاسية متعصبة ، ولما كان الشرفاء أقلية ضئيلة فى جحافل كثيرة تتمنى الايقاع بها ، فعليهم أن يصونوا صفاتهم الخاصة التى تضمن لهم الفوز . وتقاليدهم التى اصطلحوا عليها فى زواجهم وتربية أبنائهم وارتباط بعضهم ببعض هى من التقاليد العاملة على صيانة ذريتهم من الأخطار . لهذه الذرية الأرستقراطية إلـهها الذى تتجسد فيه كل فضائلها التى قادتها إلى القوة وإلى هذا المظهر الذى بدت به ، إن هـذا الإلـه هو — إرادة القوة — التى ساقت الزعماء إلى السلطة ، وجعلت منهم أقوياء سعداء ، والعبادة التى يقومون له بها هى

تفسير ابتهاجهم بالحياة على النمط الذى يفهمون منه أنهم جيلون أقوياء

هذه الفضيلة تختلف جد الاختلاف عن فضيلة العبيد ، والضعفاء الأذلاء ، وإذا كانت الكبرياء والبهجة بالحياة ، هى العاطفة التى تموج فى صدور الأسياد ، فلا عجب إذا نما فى صدور الضعفاء التشاؤم ، ومقت الحياة ، وكره الأقوياء . الأقوياء يكيد بعضهم لبعض . أما الضعيف الغريب الذى يتصدى لهم فويل له ، لأن غريزتهم فى البأس والقوة لا تشبع إلا بسحقه ؛ لأنهم يعتقدون أنهم بما فعلوا أتوا عملاً جليلاً يحق لهم به أن يغدوا على أفواه الشعراء أسماء مُرددة ، وهم — فى ناظر هذا الغريب المغلوب على أمره — شياطين وقردة ؛ تحمل الرعب والهول للآمنين . إن جرأة هذه الطائفة وجنونها وقسوتها ، واحتقارها للأمان والحياة واغتباطها العميق بالتهديم وظفرها . كل هذه الصفات ينمّها أولئك المقهورون بالبربر والبربرية ، وهكذا رجل القوة والبأس والرجولة فى مذهب فضيلة الأسياد يصبح رجل اللؤم والرداءة فى مذهب فضيلة العبيد . والردئ الشرير — فى عرف الضعيف — هو كل من ارتدى رداء القسوة والعنف والرعب ، والجيل عنده كل هذه الفضائل التى يحتقرها الأسياد ؛ الفضائل التى تخفف من شدة الظلم ، وتمنع ارهاق المظلومين ، وترأف بالبائسين المتألمين ؛ فضائل الشفقة والرقة والصبر والتواضع والاحسان فضائله . إن العظيم الذى كان محارباً مخيفاً قوياً فى شريعة الأسياد ، يحول فى شريعة العبيد هادئاً حليماً ، ويصبح جديراً بالصغار ، لأنه بالغ فى توانيه عن القتال ، وبالغ فى لبسه ثوب المساكين

— ٣ —

والآن لننظر فى هذه القيم الاجتماعية التى أنشأها العبيد ، فان الشريعة المسيحية وفضائلها تولدت فى تلك البيئة . وعصابة العبيد والضعفاء والمنحطين وجدت زعيمها فى الكاهن ، ومن هو الكاهن ؟

ينبغى للكاهن أن يكون « منحطاً » ليمكنه تفهم رغائب شعبه المريض ، وهو بعد هذا يجب أن يصون سلطته وزعامته لتتجه إليه ثقة المتألمين ، ويكون حارسهم الأمين المسيطر عليهم ، وإلههم الذى منه يخشون . وهى مهنة تستلزم منه أن يحرس الضعفاء من الأقوياء ، ويعلن العداوة بينه وبين الأسياد . عداوة سلاحها سلاح الضعيف : مراوغة وكذب ورياء . فيحول بنفسه حيواناً مفترساً مروعاً كالحيوانات المفترسة التى يحاربها ، ولا تقف مهنته عندهذا فحسب ، فهو مضطر إلى أن يحرس الشعب من نفسه ومن النوازع السيئة التى تتمشى عادة فى الشعوب المريضة ، يقاتل بحكمة وقسوة كل ما يخيل اليه فيه فوضى أو تفسخ أو انحلال ، يلمس هذه النوازع الملتهبة ويزيدها ضراماً دون أن يعود ضرر منها على القطيع وعلى راعى القطيع . قد تكون هذه المهنة نافعة من وجه ، لأنها تهذب بعض المفاسد ، وضارة من وجهه لأنها تقف عثرة فى سبيل حركة التقدم الطبيعى

ألا تجد « المرفأ » المرفأ الأمين الذى تأوى اليه هذه السفن المشحونة بالمرضى والمتألمين ، هو الموت . . . الموت الذى يسكن كل الآلام ويذهب بكل الأوجاع ؟ وهؤلاء الذين أظلمت فى نفوسهم قوة الحياة تبق قوة الارادة عندهم متيقظة تعارك الفناء وتناضل العدم ، وهى التى شوهت معنى الحياة عندهم ، أمست تمدهم بقواعد للحياة جديدة ، وحيل تعمل على تسكين آلامهم ، تخدعهم عن حقيقة ألمهم ، فيحس الكاهن انتفاعاً بهذه الغريزة الطبيعية ، فيسوقها ويديرها ويثيرها حتى يجعل منها آلة سلطته وزعامته ، فيصبح زعيم جماعة لا تحصى من المرضى والمنحطين . وما هو الثمن يا ترى ؟

(يتبع) خليل هنداوى



صور من هوميروس

٦ – حروب طروادة

القربان (١)

للأستاذ دريني خشبة

لم يبق إذن على الأسطول إلا أن يقلع إلى طروادة فيدمرها تدميراً !

ولكن البحر هادئ ، والرياح نائمة ، ولا بد لهذه السفن المثقلة بالعدة والعديد من قوة هائلة تدفعها في هذا الخضم الساخر !

الأيام تمضي دون أن تستيقظ الريح !

والملال يدب في قلوب الجند من طول مالبثوا في تلك الجهة من الشاطئ العابس المتجهم لا يرعون !

والميرة تكاد تنفد ! .....

والخيل تملك حديدها كأنها برمت بهذا الركود !

– « كالخاس ! »

– « مولاي ! »

– « إذهب يا رجل فاستوح لنا أربابك ماذا تبتغي لتُطلق الرياح ؟ ؟ .... »

– « لبيك يا مولاي »

وانطلق عرّاف الحملة الى المعبد القريب فمكث غير قليل ، وعاد بقلب موهون ، وجسم مضعضع ، ووجه مُغبر ، وجبين كاسف معقد

– « ما وراءك يا كالخاس ؟ ! »

– « مولاي ! ... ... »

– « تكلم ! تكلم يا كالخاس ! »

– « الآلهة ! الآلهة عطشى يا مولاي ! »

ولم يتمالك العرّاف الشيخ أن سقط على نفسه من الاعياء ، ومما يخترم فؤاده من الهم ! وأسقط في أيدي القادة . . . وعالجوا كالخاس بالماء ، ودهنوه بالطيوب ، حتى أفاق

وقال العراف مخاطباً أجاممنون :

– « مولاي ! ابنتك يا مولاي ! »

– « ابنتي ؟ ! ابنتي من ؟ »

– « إفجنيا ! . . . »

– « ماذا ؟ إفجنيا مالها ؟ »

– « لابد من تقديمها قرباناً ! لابد من أن يُطلّ دمها على مذبح الآله الأكبر ! »

– « وليمّه ؟ »

– « لكي تطلق الرياح من عقالها ، ولكي تكون فدى للجيش كله ، ولهيلاس جيماً ! ! ! »

– « ياللهول ! لا كانت هذه الحرب ! »

وما كاد يقولها حتى تكبكب القواد حوله ، وطفقوا يترضونه : « من أجل الآلهة ، وفي سبيل الوطن ! » ، والرجل يبكي وينشج ، ويُذهب نفسه شعاعاً ! !

وأمرهم أن يتركوه وحده ليرى رأيه . . . .

فلما انصرفوا دعا اليه كالخاس ، وأخذ معه في حوار طويل ، ثم رجاه أن يذهب الى المعبد فيضرع الى الآلهة ، عسى أن تقبل قرباناً آخر غير هذه الفتاة الحبيبة المنكودة ، مهما غلت قيمة هذا القربان !

---

(١) اعتمدنا في تلخيص هذا الفصل — علاوة على هوميروس — على درامة يوربيدز الخالدة (Iphigenia) ، وذلك لأن ما وصلنا من هوميروس عنها مقتضب ، فكانت درامة يوربيدز هذه ودرامته الأخرى (إفجنيا في أوليس) كالشرح المسهب لها

وعاد كالخاسر ، وأخبر أن الآلهة لا تبتغي بإفجنيا بديلا !

وانهزم أجاممنون الأب ، وانتصر أجاممنون المؤمن التقي الورع ، الذي يقدس الآلهة ، ويعرف لها قدرها ، فأمر بقرطاس وقلم ، وكتب الى زوجه كليتمنسترا :

« بشراك يا حبيبتي !

أتعرفين أخيل ؟

أخيل الذي أصبح ملء الأسماع والأفواه والقلوب ! بطل هيلاس الذي وعدتنا الآلهة طروادة على يديه ! الشاب الوسيم القسيم القوي الأبي الشجاع ! يتقدم أخيل لخطبة إفجنيا — ابنتنا المحبوبة — ويود لو تزف اليه قبل أن يقلع الأسطول لتدمير طروادة ! انه لا شك سيرى في مرآة إفجنيا وطنه ، وحينئذ يكون حرباً على الأعداء ، ونقمة عليهم من السماء !

أرسليها أيتها العزيزة ، وأحب الي أن تسرعي بارسالها من دون ما جلبة ولا عناد ، فالوقت ضيق ونحن على وشك الابحار »

(أجاممنون)

وانطلق رقيق عجوز بالخطاب الى آرجوس ... حيث تثوى كليتمنسترا في قصرها المنيف « أتريدي » مع ابنتها إفجنيا ، وأبنائها الآخرين !

وخفق قلب الفتاة حينما أخبرتها أمها أن أخيل يريد يدها . فقد كانت هيلاس كلها تتحدث باسم الفتى ، وتصلي للآلهة التي وفقته للانضمام إلى الجيوش الغازية

خفق قلب إفجنيا . . . وكأنما غرقت في لجة من الأحلام التي تجيش عادةً في قلوب العذارى ، حين يعروهن هـذا الطور الناعم الجميل من أطوار الحياة . . .

ولـكن ما الذي أوحى إلى أجاممنون بهذا التدبير ؟ ولم اختار هذه الحيلة المكشوفة لاستدعاء ابنته التاعسة ؟ لا ندري !

لقد مرت أيام دون أن تحضر إفجنيا . ولم يكن الطريق طويلاً أو شاقاً بين أوليس وآرجوس حتى تتأخر كل هـذه المدة . . . فهل حدث شيء ؟ . . .

وكأنما طول الانتظار قد أثار العاصفة من جديد في قلب أجاممنون الأب ! فبدا له ألا يصدع لهذا الظلم الأولي ، ولو صار بعدها زنديقاً ملحداً مطروداً من جنة الآلهة ، مغضوباً عليه من قلب الوطن ! !

وقد كان !

فانه استدعى الرقيق العجوز ، الذي كان يحمل دائماً بريد القائد العام الى آرجوس ، ودفع إليه برقعة أمر فيها ألا تحضر إفجنيا ! ! وأمره أن يسرع بها الى زوجه ، قبل أن تـكون قد أخذت أهبتها للسفر !

* * *

وا أسفاه !

لقد لقي منالايوس — شقيق أجاممنون وزوج هيلين وملك أسپارطة ؛ والذي من أجله شبت هذه الحرب — الرقيق العجوز حامل الرسالة ، فاستوقفه وقرأها !

ودارت الدنيا بالملك المحزون ، واحلولكت الحياة في عينيه وقصد من فوره إلى أخيه فانتهره ، ونشبت بينهما معركة حامية من السباب والتعيير . يدفع أجاممنون عن ابنته ، وفلذة كبده ، ويفتديها بنفسه وبالدنيا وما فيها ، ويعيره منالايوس بالمروق من الدين ، وعصيان الآلهة ، وشق عصا الطاعة على السماء !

وانهما لـكذلك ، اذا برسول يعلمهما أن كليتمنسترا ، وزوجة أجاممنون وابنتها إفجنيا ، تستأذنان في المثول بين يدي الملك ، ويدي القائد العام ! !

يا لسخرية المقادير !

يتفجر الحنان في قلب منالايوس المتحجر ، ويرق لأخيه البائس الملتاع ، فيقول له : « أخي ! أنقذها يا أخي ! انها ابنتي كما هي ابنتك ، فانقذها كما يحلو لك ! ! »

ويبهت أجاممنون لهول الموقف ، ولا يدري ماذا يقدم أو يؤخر ؛ ثم يراه واقفاً وحده يبكي . . . كما يبكي الأطفال . . . بعد إذ غادره أخوه

ويلمح زوجه مقبلة ، فيصلح من شأنه ، ويتكلف البشاشة والتبسم ، وانها لبشاشة باكية ، وانه لتبسم مر حزين ! !

— « أهلا أهلا إفجنيا ! ! مرحباً مرحباً كليتمنسترا ! سفر حميد ورحلة طيبة ! ! »

— « أين أخيل ، وماذا أعددتم للاحتفال بالعروسين ؟ »

— « أ . . . أ . . . أجل . ولـكن لابد أن تعودي أنت إلى آرجوس !

- « أعود إلى آرجوس ! أعود وأترك ابنتى !

- « أجل ! تعودين وتتركين إفجنيا !

- « والعرس ! وإعلان الخطبة على الأقل ؟ ألا أحضر شيئاً من ذلك ؟ هذا لا يكون ! لن أعود حتى أشهد كل شيء ! ! »

وتصر كليتمنسترا على بقائها حتى تحتفل بابنتها ، وحتى ترى إلى هـذا العسكر المجر والأساطيل المنتشرة فى البحر كالدَّبى ، تحيِّي ابنتها وتحيِّي أخيل ، وترقص طرباً للعروسين ! !

ثم يحدث ما ليس فى حسبان أحد ! !

يحضر أخيل ليقابل القائد العام ، وليبدى له سخطه وسخط جنوده (الميرميدون) من طول هذا الانتظار الذى يبدو أن ليس له آخر . . . ويلح لديه فى وجوب الأقلاع الى طروادة مهما كلفهم الأمر !

وما تكاد كليتمنسترا تسمع كلام أخيـل ، وتسمعه يذكر فرقة الميرميـدون الشهورة فى جميع الآفاق ببسالتها وكلَفها الخارق بالحروب ، حتى تعرفه ، وتعرف أنه أخيـل . . . أخيل بعينه . . . خطيب ابنتها . . . وزوج إفجنيا الحبيب !

فتتقدم إليه هاشّةً محيية ، حتى اذا أنس اليها ، بدهتـه بالسؤال عن العُرْس !

- « عرس ؟ عرس ماذا ؟

- « عرس ماذا ؟ ألستَ أخيلَ ! ألست قد تقدمت إلى أجا ممنون ، أمير آرجوس ، تطلب أن تكون إفجنيا زوجة لك ؟ ألم تطلب يد إفجنيا ؟ تكلم ! . . . »

ولـكن أخيل يسمر مكانه باهتا ، لايدرى ماذا يقول ، لأنه لايعرف مما قالت السيدة شيئاً ! ! وتحملق الملـكة فى أخيل طويلاً ، ويتصبب العرق من جبين إفجنيا ، الفتاة البريئة ، لما ترى من حيرة أمها ، وارتباك هذا الجندى الباسق الجميل ، الذى كانت تحلم به زوجا كريما لها ؟ !

وكأن هذا الموقف لم يرض أحداً . . . حتى الرقيق العجوز ، حامل بريد القائد العام ؛ فقد انفجر هذا الخادم الأمين من شدة الحنق ، فباح بكل شيء . . . . ! باح بكل ما سمع من تحاور منالابوس الملك ، وأجا ممنون القائد الأعلى ، بخصوص هذا الزواج المفترى : « مولاتى الملـكة ! خذى حذرك لفتاتك المسكينة ، إنها ستذبح ! إن الـكهنة الأشرار سيذبحونها اليوم ليسقوا أربابهم الظامئة من دمها الثمين ! إن أخيل الـكريم لم يتقدم ليطلب يد إفجنيا ! بل هو لا يعرف من أمر ذلك قليلاً أو كثيراً ! ها هو أمامك فاسأليه ! . . . »

وكأن صواعق السماء جميعاً نزلت على قلوب القوم !

لقد تحطمت كليتمنسترا !

وذاب الثلج فى عروق إفجنيا !

وزلزل أجا ممنون !

أما أخيل ! فقد شُدِه ، وحجبت ناظريه سحابة كثيفة من الذهول ! ثم ما هو إلا أن أفيق فاضطربت به الأرض ، وأحنقه أن يُتخذَ مطية لهذا العبث العابث ، والسخرية المهينة ! وصاح الشاب كأنه أسد تَهيج ، واتقدح شرر الغضب من عينيه ، حتى خيف أن يبطش بأجا ممنون وجنوده ، . . . كيما يثأر لاسمه ، ويطهر كرامته . . .

وانتهزتها الملـكة فرصة غالية لتنقذ ابنتها من القتل ، فانبطحت عند قدمىْ أخيل تقبلهما ، وتغسلهما بدموعها ، متوسلة اليه أن يدفع من إفجنيا ، ويحول بينها وبين الموت !

- « فان لم يكن بحسبك أن أمرِّغ خدى تحت قدميك لتكون حاميَ ابنتى ، فانها هى أيضاً تفعل مثـلى يا أخيل ! انها تمرغ حُرَّ جبينها عند موطىء هذه القدم الطاهرة لتكون حاميها وحارسها ! ! »

- « قرى يا سيدتى ! وكلى أباها فى شأنها ، فان لم يحل بينها وبين الموت ، فانى سأقتتل من دونها حتى أنقذها من الهلاك ، ولو حاربت هيلاس جميعاً ! ! »

* * *

وترجو الأم زوجها أن يحول بين ابنته وبين هـذه القتلة الشنيعة ؛ ويتصدع قلب أجاممنون ، وتنهمر دموعه شفقة على الفتاة التعسة . . . فيعد ! ولـكن . . . لات حين موعد ! !

لقد نمى الى العسكر أن أخيل أنذر أن سيقف دون الدم الذى أمرت الآلهة أن يراق فنيظوا وأحنقوا ، وذهبوا اليه يتحسسون جلية الأمر ، فصارحهم به ، فانقضوا عليه يرشقونه بألسنتهم الحداد ، ويرجمونه بحجارة الشاطئ . . . فولى مدبرا ! !

وريعت الأم حين رأت إلى البر ميدون — جنود أخيل الأمناء — يرجون سيدهم فيمن يرجه من الجنود الآخرين ، فعوّلت على أن تحمل السلاح وتقف الى جانبه ، تذود هؤلاء الوحوش !!

ولكن إفجنيا الصغيرة ! إفجنيا الفتاة ! إفجنيا العظيمة ! وقفت فى وجه أمها ، وصرخت قائلة :

« مكانك يا أماه ! لن يموت أخيل من أجل فتاة !

من أنا حتى يفتديني هذا البطل العظيم ؟ وما حياتي التافهة فى حياته المذخورة الغالية ؟ . . . إن رجلاً يحارب من أجل هيلاس ، أجدر بالحياة من عشرة آلاف امرأة لا يستطعن الى حرب من سبيل ؟

خلوا سبيل سيدكم ، فلن تفتح طروادة الا عليه ، كما أخبرت بذلك آلهتكم ! ومادام النصر معلقاً بحياتى ، فكم يبهجني أن أفتدى الوطن ، وأرضىَ أربابى !! ان هيلاس كلها تنظر الىّ اليوم ! فهل نخر أكثر من أن أكون عند حسن ظنها بى ! ! أنا لها ! أنا أفديك ياوطني ! أماه ! لا تحزنى ! أنظرى الىّ ! هأنا أبتسم للموت .... للقتل .... للذبح .... هلموا يا سادة .... هلموا ... أين المذبح ... صلوا من أجلى ... تحيا هيلاس ! .. »

وفى هذه اللحظة فقط ، تكبر إفجنيا فى عينى أخيل ، فيتمنى لو أجلت فى حياتها لتكون زوجة كريمة له ... ويعرض استعداده للمنافحة عنها بسيفه ، ولكنها تنهاه ، وتوصيه أن يعيش لوطنه ، ويذب عن بيضته ، ويعلى كلمته . . .

وتنسكب دموع أخيل . . .

ويسير الجميع وراء إفجنيا العظيمة ... إلى ... المذبح !!

فيا للفتاة . . .

ويا للأم . . .

ويا لأخيل البطل !

* * *

وتضع إفجنيا رأسها على رخامة المذبح ، ويرهف الكاهن مديته . . . ولكن ؟ . . . لقد شده القوم . . . ! ونظر بعضهم الى بعض ... !

انهم ينظرون فلا يرون إفجنيا !!

بل يرون مكانها ظبيا ... رشأ غريراً !!

إذن هى المعجزة !!

لقد تفطر قلب ديانا الكريمة من أجل الفتاة ، فهبطت من ذرى الأولب لتنقذها ... فرفعتها الى السماء ... ثم أرسلتها لتكون راهبة معبدها العظيم فى مملكة توريس !![1]

وارتفعت أغانى الغوانى ...

يسبحن للآلهة العطشى !!

(لها بقية) دريني خشبة

(١) الى هنا تنتهى مأساة إفجنيا فيما يتعلق بحروب طروادة ، ومن أراد مزيداً فليقرأ درامتى يوريبيدز (١ ــ إفجنيا فى توريس ، ٢ ــ إفجنيا فى أوليس) من ترجمة دانت النثرية ، أو ترجمة جلبرت مورى النثرية

أقصوصة عراقية

نكتـــة العمامة

للأستاذ محمود . أ . السيد

على الشرفة الغربية الكبرى ، فى فندق دجلة الكبير ، المشرف على الصالحية وجسرها ، فى ذات ليلة قمراء من ليالى صيف عام ١٩٣٥ ، كنا جماعة صغيرة من إخوان الصفاء ، فيها طبيب وكيميائى وصحافى وأديب ؛ نحف بسيدة فاضلة ، وافدة من بلاد المجر للسياحة ودراسة تقاليد العرب ، وأطوار سكان البادية ، وأحوال العامة ، والأدب الشعبى غير المكتوب فى العراق نكرمها مكبرين همتها القعساء التى جشمتها عناء السفر الى بلادنا ، فى هذا الفصل الذى يشتد حره ؛ فهرب منه كثير من أهلها المترفين الى مصائف لبنان وغير لبنان ، فراحت تنتقل بين القبائل أياماً وأسابيع ، ثم تعود الى هذا القصر الذى أعده أصحابه نزلاً للتجار والسياح والسياسيين والعلماء الأجانب من أوربيين وأمريكيين وغيرهم ، لتدون مذكراتها العلمية ، وتسجل ما تقف عليه من قصص وأساطير ، وما يحكى لها الرواة من حكايات وروايات تستعين بها على أداء مهمتها العلمية ، ولتستريح يوماً أو أياماً قليلة ثم تعود الى زيارة القبائل والتنقل فى القرى والمدن باحثة مدونة ثم تعود . . .

ومع أنها كانت تبدو للرائى فى أقل من الأربعين من العمر ، فقد كان يعلوها جلال الشيوخ . وهى تنتمى الى « عصبة علمية » تضم رجالاً أفذاذاً من الباحثين وعلماء المشرقيات . طويلة القامة ، مغولية الملامح ، لأنها من سلالة الهون . عالمة بخمس لغات ومنها التركية الحديثة التى تعلمتها فى استانبول . وقد عرفناها فى ذلك الفندق مصادفة . وكنا نؤمه كل ليلة — فى الشتاء والصيف — لنزجى فيه بعض أوقات فراغنا بالحديث والمسامرة ، واستطلاع طلع « الغربيين » الكثيرين الذين نراهم فيه ، فنتقرب إليهم متشوفين ، متبينين نواياهم ونوايا حكوماتهم فى بلادنا ، منافحين عنها ، ذاكرين لهم ما يخفى عليهم من محاسنها ، وما فى طبيعة قطينها وقطين الشرق كله ، وقرارات نفوسهم من سمو فى الخلق والعاطفة وقرب الى الانسانية والحق والخير ، ناعين على الغرب ماديته وحضارته الرأسمالية الاستعمارية . وكثيراً ما كنا نجادلهم عن إيمان بحقنا وبحق الشعوب المظلومة فى الحياة ، فننتصر عليهم أحياناً بقوة الحجة ، وينتصرون علينا أحياناً بالعناد والمغالطة والمكابرة وما إليها مما يتسلح الغربى به فى مناضلة الشرق اليوم

وكان اسم هذه السيدة المجرية ماجدا

قالت ماجدا تخاطبنا فى شىء من الاستغراب :

— « اليكم حادثة من حوادث قطركم هذا ما كان أغربها عندى إذ تلوتها عجلة فى هذه الجريدة الانكليزية التى تصدر عن عاصمتكم دار السلام بل التى كانت يوماً ما دار السلام »

وأخرجت جريدة « التيمس » البغدادية من حقيبتها فألقتها على المائدة التى كانت فى وسط مجلسنا مغطاة بأقداح الشاى وعدته . ثم ابتسمت وابتسمنا مدركين المغنى المقصود بقولها عن بغدادنا « التى كانت دار السلام » لأنها أصبحت دار الحرب منذ سنة ١٩١٧ ، الحرب النارية الدامية أولاً ، والحرب السياسية ثانياً ، وقالت :

— « هل يصدق أحد منا نحن معشر الأوربيين لو سمع هذا الخبر فى بلده ، إذا كان يجهل حقيقة الحياة الاجتماعية فى بلادكم : أن صبياً فى الحادية عشرة من العمر وأخاً له أصغر منه يقتلان أختاً لها لأنها انحرفت عن صراط العفاف . هذا ما تقوله هذه الصحيفة — اليوم — عن صبيين من حى (باب الشيخ) . فوا عجباً ! حتى الصبيان تجعل منهم النخوة البدوية والغيرة قساة ذباحين ؟ »

قلت وقد بدا لى أن أهون عليها ما سمعت :

— « لقد نقلت هذا الخبر جريدة أخرى وقالت عن الصبيين القاتلين إنهما يحترفان نحر الجزور لدى جزار . وربما كان احترافهما هذه الحرفة التى ألفا فيها رؤية الدماء والضحايا من الخراف وغيرها صباح مساء ذا أثر عميق فى تقسيهما ، فهان عليهما مافعلا . وأرجو ألا ترى سيدتى الفاضلة فى ذلك دليلاً على وجود ميل طبيعى فى مواطنينا إلى التوحش وقتل الانسان . . . وأردت أن أعلل الدوافع التى دفعت الصبيين إلى إتيان هذا الأمر ، فلم تدع لى مجالاً للكلام ، بل قالت ، وقد مضت ترتشف الشاى وتبدى

إيجاباً خارجاً عن موضوعنا بالقمر الزاهر المضيء فوق دجلة ، في سماء معروفة بجمالها لدى كل غربي ساح في البلاد العربية وبلغ بغداد :

ـ « كلا لم يخطر ببالي أن أتهم العرب العراقيين بالميل إلى التوحش وقتل الانسان لعين الأسباب التي تدفع غيرهم من أبناء البلاد المتأخرة إلى القتل وإزهاق الأرواح ظلماً وعدواناً . ولكنني استغربت أن تقع في مثل هذه الآونة مثل هذه الحادثة التي تدل على روح قديم وعادات ، كنا نقرأ في الكتب الباحثة في أحوال العرب وعاداتهم وأخلاقهم وتاريخهم أنها كانت ، وحسبنا أنها زالت من جراء الاحتكاك والاتصال بالغرب ، بعد دخول البريطانيين هذه الأقطار ، منذ أكثر من ثمانية عشر عاماً ، الاتصال الذي له حكمه في تغيير العادات والأخلاق »

قال طبيب من أصحابنا باريسي التحصيل لاتيني الثقافة :

ـ « لا شك في أنه كان لدخول الانكليز بلادنا واتصال الغربيين بنا واتصالنا بهم اتصالاً لم يكن من قبل ، تأثير في تغيير بعض العادات والأخلاق في المدن الكبرى ولا سيما العاصمة ؛ ولكننا لو نظرنا ملياً في التغيير الذي حدث لوجدناه منحصراً لدى الطبقة العليا ، وبعض أبناء الطبقات الأخرى ، في الأسر التي تعددت فيها الدماء واختلف ميراث السلالات المختلفة المتواشجة بالتزاوج . فكانت النتيجة حدوث انحلال أخلاق في أفرادها ، لا ترى له مثيلاً في أبناء القبائل والأرياف والبوادي والعامة في المدن ـ الذين هم في الأصل القديم من أبناء القبائل ـ والذين ينتسب اليهم هذان الصبيان . ألا تؤيدونني في هذا الرأي يا رفاق ؟ »

سكت بعضنا ، وقال بعضنا :

ـ « بلى »

وقال أحدنا وهو الصحافي :

ـ « إن أكثر عاداتنا وتقاليدنا ـ وقولي تقاليدنا أصح من قول السيدة الفاضلة والأخ الطبيب أخلاقنا ـ لم يتغير بعد . وأعني بتلك العادات والتقاليد ما كان متأصلاً في روح الشعب ممتزجاً بدمائه منذ قرون وأزمان . فالعراقي العربي الخالص في الزمن القديم الذي كان يقتل زوجه أو أية امرأة من آل بيته وذوي قرباه إذا ما حادت عن طريق العفاف واستزلها شيطان من الانس وعبث بها فأثمت معه ، هو هذا العراقي العربي ـ سواء أكان خالصاً في عروبته أم لم يكن وهو يدعيها ـ الذي يعيش في القرن العشرين ، والذي يمثله خير تمثيل بطلا الحادثة التي أتاحت لنا الفرصة لهذا الحوار ، إلا ما شذ من الناس . وهؤلاء الشاذون ممقوتون ممكورهون يلبسون ثياب الخزي والعار أنى حلوا وأقاموا . وقد يوجد فارق بين رجل الأمس الذي كان يقدم على القتل وسفك الدم في بيته لدرء العار عنه ، على الشبهة والظن ، ورجل اليوم الذي يتبين ويتريث حتى يأتيه اليقين بما يصح أن يدعوه إلى ما لا بد له منه لكي يجرى حكم التقاليد ، ويحيا في قومه عزيزاً شريفاً لا يطأطيء رأسه العار ولا يذله ، ولكن هذا الفارق طفيف »

قالت وقد لذها الحديث وزادها الولع بتدوين الحكايات والروايات عن تقاليدنا وعاداتنا شوقاً إلى استماع شيء جديد مما يدخل فيما خضنا فيه :

— « ألا تحدثوني بحادثة من حوادث العهد السابق لعهدكم الحديث ، أسجلها إلى جانب هذه الحادثة التي سوف أستقصيها وأدونها بتفاصيلها ، فانها تغني عن كثير مما يصح أن يروى عن قوة التقاليد — على ما ينميها السيد الصحافي — وشرف العامة وغيرتهم وحرصهم على المرأة من أن تمتد اليها يد التريب بما يشينها ويدنسها ؟ »

قلت :

— « أي عهد تعنين ؟ »

— « العهد الذي ختمته نهاية القرن التاسع عشر ؛ إذ أننا نعتبر تلك النهاية آخر خيط من الليل السابق لعهد اليقظة في بلادكم ، وبداية الاتصال بالعالم المتمدن »

قلت :

— « سأقص عليك قصة البطل الغيور عبد الحميد ، وهي قصة لحادثة واقعة في النصف أو الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، مما حكي لنا مشايخنا من حوادث بلدنا هذا ، قالوا :

نكتة سوداء من سخام القدر كانت في عمامته ذات يوم ، لم يفطن اليها ، وقد جاء القهوة كما كان يجيئها كل يوم ، مرفوعاً رأسه على الرؤوس ، مفعمة نفسه بخيلاء الفحولة وكبرياء

البطولة ، البطولة التي اعتلى عرشها المسكين في البلد بحق ، فهابه الناس على اختلاف طبقاتهم ، وتناول الرواة في الأحياء أخباره في كثير من الوقائع الخطيرة التي صادف والأحداث التي شهد

وكان الشطب — وهو آلة التدخين عند القوم في ذلك الزمن — المفضض الطويل في يسراه يدخن به مفكراً ساهماً ساهما ، والدخان ينبعث من بين شدقيه كثيفاً

لقد قال له صاحبه أحمد العلوى ، وقد لقيه في الطريق قادما من بيته قبيل ساعة : « إن وسخا أو سخاماً على رأسه » ، وانصرف لطيته . . . . وكان الناظر إلى وجهه يرى الشر عليه بادياً في وضوح

وما عتم أن قام إلى بيته متثاقل الخطى ، قابضاً بيده اليمنى على خنجره ، رسول الموت الذى طالما أزهق الأرواح

وعاد بعد قليل ، فاقتعد مكانه الأول من القهوة ، وجعل يدخن ، كما كان . . .

ومر به صاحبه ، وكانت القهوة حافلة بالكهول والشيوخ ذوى النظرات القاسية والعمائم الكبيرة ، فنظر إليه قليلاً ، ثم أقبل عليه ، فجلس إلى جانبه ، ومال إليه برأسه يكلمه همساً :

« إن في عمامتك لنكتة سوداء نبهتك إليها فلم تزلها بعد »

كان الجواب نظرة تطاير منها الشرر ، ولكن أحمد لم يفقه لها معنى

وكان سكوت ، ثم قام الرجل تاركاً صاحبه جالساً في مكانه ، دهشاً ، ومشى إلى بيته متثاقل الخطى ، قابضاً بيمينه على خنجره ذلك الذى طالما أزهق الأرواح

وعاد بعد قليل ، فاقتعد مكانه الأول من القهوة ، بجانب صاحبه ، ثم جعل يدخن كما كان . . .

قال له أحمد :

— « غريب هذا الذى أرى منك أيها الأخ ! هل أنت آت من بيتك ؟ كيف غفلت كذلك عن إزالة النكتة من السخام التي في عمامتك ؟ »

وهنا انفجر الرجل من شدة الغيظ ، وقام على قدميه مرتجفاً ، وقد دارت به الأرض الفضاء :

— « ويلك لم تبق إلا أمي العجوز ! »

تلك هي القصة التي قصها علينا الشائخ فيما قصوا وحفظوا من حكايات بغداد في زمن قديم خلا

لقد نحر عبد الحميد زوجه وأخته بيده ، واحدة تلو أخرى ، كما ينحر الجزار الخراف والبقر ، ليزيل السخام من عمامته . فعمامته هي التاج ، تاج الشرف والعرض والكرامة فوق هامته في هذه الحياة ، وشرفه وعرضه وكرامته شرف أسرته وعرضها وكرامتها ، وكل أولئك من شرف قبيلته وحيه وعرضهما وكرامتهما ، فان وسخ العار ذلك التاج ودنسه فلا يطهره منه إلا الدم والموت .

ولم يلم الرجل على ما فعل أحد ، لأنه فهم ما قال له صاحبه على غير حقيقته ، بل لاموا صاحبه الذى لم يستطع إيضاح ماقصد بعبارته التي توهم سامعها الاشارة والرمز إلى العاب والعار . فعبد الحميد كان يمثل العربى العراق ابن الشعب والقبائل بالأمس ، وان كان يسكن داراً في بلد لا خيمة في بادية ؛ وهذان الصبيان يمثلانه اليوم أتم تمثيل . فهما وذاك في الحقيقة واحد في ثلاثة ، وان تباعد بينهما وبينه زمانهما وزمانه »

قالت وكأنها استدرجتني الى استعلام رأى لى فيما كنا نتحدث فيه :

— « وما رأيك أنت في هذا العقاب الذى كانت تعاقب به المرأة عندكم اذا مازلت بها القدم ، وما زالت تعاقب به ؟ »

— « لا يسمى الناس قتل المرأة عندنا اذا ما أتت عقاباً ، بل يسمونه — بحكم العادات والتقاليد الموروثة — محوا للعار وتطهيراً للعرض من الدنس . وإذا كنا نعتقد أن حياة الشعب المادية هي التي تملى عليه منهاج أخلاقه وتقرر له عاداته وتقاليده . »

— « بلى . أعتقد ذلك . . . . »

— « . . . فان الحياة المادية لشعبنا الفقير المسكين لم تتغير بعد تغيراً جوهرياً بالاتصال بالغرب لكي تتغير تلك العادات والتقاليد لديه ، بل تغيرت الحياة المادية في القصور ، ولدى بعض المتفرنجين من الوطنيين ، وقولى هذا تعليل متمم لما كان قاله أخونا الطبيب . . . . »

(العراق ، الأعظمية) محمود . أ . السيد

البريد الأدبي

جوابي لأخي محمد سليم قصيراً كما تراه

إنني في كتابتي عن الشيخ جمال القاسمي رحمه الله لم أدخل في علم الحديث دخول من تصدّى لترجيح أو تجريح وخاض في الحديث خوض من يعلمه، بل بقيت واقفاً على الشاطئ، على حين أن أخي محمداً الكرد على دخل في الموضوع وحكم فيه حكمه، وهو مع ذلك يقول إنني أنا وإياه لسنا من هذا العلم في ورد ولا صدر. فاذا كان الأمر كذلك فما كان أحراه بأن يترك انتقاد كتاب مؤلف في الحديث الشريف، وقد أطنب في وصفه مثل الأستاذ الأكبر السيد رشيد رضا رحمه الله الذي إذا تكلم في هذا الفن يقال: القول ما قالت حذام

أما كان أكثر كلامي في محاسن الاستاذ الكبير الشيخ جمال القاسمي تغمده الله برحمته؟ فان كنت لست من علماء الحديث فاني لست جاهلاً معرفة الرجال، ولا مسلوباً مزية التمييز بينهم، ولولا حسن فراستي ما كان الأستاذ كرد على عظيما في عيني، وقد اخترته لأخائي منذ اثنتين وأربعين سنة

أما السجع وما أدراك ما السجع، فالكلام العربي ينقسم الى مرسل ومسجّع، وموزون مقفّى، ولكل نوع من هذه الأنواع الثلاثة مقام يحسن فيه أكثر من غيره، والمرسل هو الكلام المتاد الطبيعي الذي به أكثر تفاهم الناطقين بالضاد. والموزون المقفى هو الشعر الذي لا رونق للّغات بدونه. والسجع وسط بين المرسل والموزون، وله وقع في النفوس لا جدال فيه، ويكفيه من الشرف أن كتاب الله تعالى قد نزل بهذه الطريقة، وأن نهج البلاغة وكثيراً من كلام أفصح العرب هو من النوع المسجع. ولا يقال في بديع الزمان والخوارزمي والصاحب والصابي والقاضي الفاضل وأمثالهم إنهم لم يحسنوا القول. فان كانت اللغات الأوربية ليس فيها سجع إلا ما ندر، فليس هذا بحجة على اللغة العربية، فلكل لغة خواص تمتاز هي بها، وقد خلق الله الناس أذواقاً مختلفة، وجعل لكل أناس مشربهم، والعرب غير العجم، والشرق غير الغرب

جنيف ١٠ جمادى الآخرة شكيب أرسلان

الى الأديب الزحلاوي

اطلعت على كلمتكم المنشورة بعدد (الرسالة) الأخير. الخاصة بقصيدتي المنشورة في «تجليّ» ولما كنت لم يسبق لي التشرف بقراءة شيء، ولم أسمع مطلقاً قبل اليوم عن شاعركم الدمشقي عفلق افندي؛ فاني أرجوكم أن تتكرموا بنشر قصيدتي وقصيدته معاً. وأعتقد أن الأستاذ صاحب (الرسالة) لا مانع في ذلك مادام قد سمح لك أن توجه ما كتبت إليّ

والفت نظر زحلاوي أفندي إلى أن المقطعين الذين انتخبهما لي ولعفلق أفندي ليس فيهما ذرة من التشابه، فما الشبه، بين «أعولي يا جراح» و «اعصفي يا رياح»، وما الشبه بين «أسمعي الديان» وبين «اهزئي بالسماء» !! إن هذا لفهمٌ عجيب

ختاماً لك وللأستاذ صاحب الرسالة تحياتي؟ الدكتور

ابراهيم ناجي

حول مستعرب عظيم

اطلعت في العدد الخامس عشر بعد المائة من (الرسالة) الغراء على مقالة الأستاذ المؤرخ محمد كرد على بك التي يترجم فيها للأستاذ المستشرق الدكتور ف. كرنكو، ويثني على خدماته لأدب العرب

وقد رأيت من الواجب أن أستدرك على الأستاذ كرد على بك بعض ما أعرفه عن هذا المستشرق المخلص. فقد كان أستاذاً للآداب الاسلامية في جامعة (بون Bonn) في ألمانيا، وكان مما يدرسه هنالك (كتاب علوم الحديث لابن الصلاح)، كما هو من أعضاء بعض المجامع العلمية

ومن عظيم خدماته تحقيقه لمعجم الشعراء للمرزباني الذي

طبع فى القاهرة فى هذا العام؛ وفى مقدمته (المؤتلف والمختلف فى أسماء الشعراء وألقابهم وأنسابهم، ومختار أشعارهم للآمدى)

ومما صححه كتاب (من يسمى عمراً من الشعراء)، وهى رسالة بعث بها محمد بن داود بن الجراح إلى أبى أحمد يحيى بن على ابن يحيى بن أبى منصور المنجم. ترجم فيها لما يزيد على مائتى شاعر ممن يسمى عمراً

وصحح أيضاً التاريخ الكبير للبخارى، وهو تحت الطبع فى الهند... إلى غير ذلك مما يستحق عليه شكر العلماء والأدباء من أهل الشرق والغرب.

محمد شفيعه

التونة

تابع الأستاذ «دريني خشبة» فى مقاله فى «الرسالة» (العدد ١١٣) بعض الكتاب فى إطلاق لفظ «التونة» على الخط الذى يلى الأنف فى الخد البارز المستدير، وسأل الرسالة رأيها فى صحة هذا الاطلاق

والمعروف أن «التونة» هى النقرة فى ذقن الصبى، كما جاء فى اللسان والقاموس والتاج والنهاية وغيرها، وفى حديث عثمان أنه رأى صبياً مليحاً فقال: «دسّموا نونته كى لا تصيبها العين» أى سوّدوها. وقال الأزهرى: هى الخُنْتُبة والثُّومة والهَزْمة والوَهْدة والقَلْدة والهَرْتمة والمَرْتمة والحَتْرمة

على أن الخنتبة والثومة ليست النقرة فى الذقن كما قال الأزهرى، ولكنها مشق ما بين الشاربين، أى إنما هى هذه الوهدة التى تمتد من وترة الأنف إلى منتصف الشفة العليا.

والهزمة كل نقرة فى الجسد، وتخص بالنقرة التى فى أعلى الصدر مما تحت العنق

والهرتمة والحترمة والمرتمة: الناترة التى فى أعلى الشفة العليا، وليس فى ذلك ما يصح إطلاقه على الخط الذى يلى الأنف، وإنما ذلك الخط هو القَسِيمة، والله أعلم.

على الطنطارى

سيرة تيمورلنك

سألنى أحد أدباء الخرطوم عن كتاب عربى يقرأ فيه سيرة الفاتح التترى الكبير تيمورلنك، فأجيبه على صفحات الرسالة بأن أنفس مصدر فى هذا الموضوع هو كتاب «عجائب المقدور فى أخبار تيمور» لشهاب الدين المعروف بابن عربشاه الدمشقى؛ وهو قطعة فذة من الأدب التاريخى والبيان الرائع؛ وقد كتبه مؤلفه بعد وفاة تيمور بنحو جيل فقط، واستقصى أخباره من مصادرها ومواطنها، وشهد غزوه لدمشق صغيراً. وقد طبع هذا الكتاب مراراً بمصر وأوربا وترجم إلى اللاتينية منذ القرن السابع عشر

ويستطيع الأديب الفاضل أن يقرأ طرفاً من أخبار تيمور أيضاً فى تاريخ مصر لابن اياس (ج ١ ص ٣٢٦ وما بعدها) وفى النجوم الزاهرة فى حوادث سنة ٨٠١ و ٨٠٢ و ٨٠٣ و ٨٠٤ ﻫ؛ وفى السلوك فى دول الملوك للمقريزى (مخطوط) فى الأجزاء الأخيرة؛ وبالانكليزية فى كتاب جيبون Decline and Fall of the Roman Empire (الفصل الخامس والستون)، ويستطيع أن يقرأ عن ابن عربشاه مؤرخ تيمور وعن بعض المصادر المتعلقة به فى كتابى «مصر الاسلامية» (الفصل الخامس من الكتاب الثانى)؛ وفى كتابى ابن خلدون (ص ٨٠ – ٨٦)

م. ع. ع

كتاب عن النقد المصرى

لفت نظرنا فصل نشرته جريدة «تسيرشر تسيتونج» السويسرية الألمانية فى صحيفتها التجارية فى عددها الصادر فى ٥ سبتمبر عن كتاب اقتصادى ألفه أحد مواطنينا المصريين بالانكليزية، ونشرته احدى شركات النشر فى لندن، وعنوان الكتاب هو: «النظام النقدى فى مصر» Monetary systene in Egypt، ومؤلفه هو الأستاذ محمد على رفعت. وفى هذا الفصل عرض دقيق ممتع لما احتواه الكتاب، فهو يتضمن تاريخ النقد المصرى من سنة ١٨٣٤، أى منذ عهد الاصلاح أيام محمد على إلى سنة ١٨٨٥، أى إلى بدء الاحتلال الانكليزى، ثم إلى سنة ١٩١٤؛ وشرحاً وافياً لنظام النقد فى مصر؛ ويخصص المؤلف فراغاً كبيراً للتحدث عن المؤسسة المصرية الاقتصادية الكبرى أعنى بنك مصر، ونموه السريع المدهش، ونشاطه المشعب الذى يحمل على الاعجاب، وشركاته المديدة التى شغلت أعظم ركن فى النهضة الاقتصادية، وأثره القوى فى تطور الاقتصاد المصرى، ويعتبر المؤلف انشاء بنك مصر، بحق فاتحة النهضة الاقتصادية المصرية

وعمادها الحصين . ويحدثنا أيضاً عن أحوال البنوك في مصر بصفة عامة ، وعما للمال الأجنبي من أثر كبير في شؤوننا الاقتصادية وغير ذلك مما يتعلق بموضوع مؤلفه

هذا هو ملخص الفصل الذي قرأناه في جريدة « تيرشر تسيتونج » ، ولم نحظ برؤية كتاب الأستاذ رفعت ، ولكننا اغتبطنا أن تهتم جريدة سويسرية نائية بنقد كتاب لمواطن فاضل . والذي يدعو إلى الأسف في ذلك هو أنه بينا نجد مثل هذا الاهتمام من جانب الصحافة الأجنبية بالجهود العلمية أيا كان مصدرها ، إذا بنا نجد الصحافة المصرية على النقيض من ذلك لا تكاد تهتم باستعراض أي مجهود علمي محلي ، ولولا أنها تلزم هذا الركود النقدي المؤلم ، لكنا قرأنا عن كتاب الأستاذ رفعت وكتب غيره من مواطنينا الفضلاء ، فصولا وفصولا قبل أن نقرأ عنه في الجريدة السويسرية . فمتى تعنى صحافتنا بهذا الجانب المنسي من مهمتها ؟ ومتى تعنى بالنقد العلمي الصحيح ، وتحله منها المكان اللائق ؟

شعر الزهاوي يترجم الى الالمانية

ترجم الأستاذ الدكتور ودس أستاذ الفلسفة في جامعة بن الى اللغة الألمانية شعراً ملحمة الأستاذ الزهاوي التي عنوانها : (ثورة في الجحيم) مع خمسين قصيدة وثلاث وخمسين رباعية ، ونشر كل ذلك في كتاب جمل عنوانه : (جميل صدقي الزهاوي) وقد صدر الجزء الأول منه

الابتذال الرفيع

اشتهر الأمريكيون بالشذوذ في كثير من الأمور ؛ ولكن لم يكن من المتصور أن يطلق هذا الشذوذ حتى على الاعتبارات والتقاليد العلمية التي ترتفع في كل البلاد المتمدينة عن كل ابتذال . فقد قرأنا في بعض الأنباء الأخيرة أن الأمريكيين ينتظرون عودة الممثلة السينمائية الشهيرة جريتا جاربو الى أمريكا بفارغ الصبر ، وأنهم اعتزموا أن يظهروا إعجابهم بها وبمواهبها بطريقة جديدة لم تكن تخطر على البال . وذلك أن « جامعة جنوب كاليفورنيا » قد أصدرت قراراً خلاصته أن تدعى جريتا جاربو من هوليوود الى حفلة استقبال تقيمها الجامعة وتمنح فيها الممثلة الشهيرة اجازة « الدكتوراه الفخرية » تقديراً لمواهبها الفنيـــة ، وينتظر أن يكون هذا الاحتفال الأول من نوعه فريداً في فخامته وطرافته ، وفيه تلقي جريتا محاضرة في موضوع فني . ويقال فوق ذلك إن الممثل الهزلي الشهير شارلي تشابلن ، سيدعى الى الجامعة لنفس الغرض وسيمنح اجازة فخرية لنفس الإعتبارات ، تقول ، وهكذا يبتذل كل شيء في أمريكا ، حتى التقاليد العلمية التي تتخذ في كثير من الأمم والجامعات العريقة لوناً من القدسية ؛ ولكن أمريكا ليست بلداً عريقاً في المدنيــة ولا التقاليد ، والعلم فيها بضاعة مزجاة ، والأجازات الجامعية فيها لا اعتبار لها ، وهي تنثر على الطالبين بأيسر أمر

ذكرى لوبي دي فيجا

احتفلت اسبانيا احتفالاً قومياً شائقاً بذكرى شاعرها الأكبر لوبي دي فيجا لمناسبة مرور ثلثمائة عام على وفاته . وقد سبق أن ترجمنا الشاعر الأشهر في هذا المكان من الرسالة ، وقدمنا خلاصة نقدية عن حياته وخواصه الشعرية والأدبية . والآن نقول إن العاصمة الاسبانية قد احتفلت بذكرى الشاعر أعظم احتفال ؛ وخصصت الأيام الأخيرة من أغسطس لاقامة الحفلات والمآدب الشائقة . وكان من أظهر خواص هذه الاحتفالات المسارح المعدة التي أقيمت في العراء لتمثيل روايات لوبي دي فيجا ؛ وقد أراد الشعب الاسباني بذلك أن يحيي أيام الشاعر وصور عصره ، وسار الممثلون إلى هذه المسارح الريفية ، في عربات النقل كما كان يحدث أيام الشاعر . وقد كان التأليف للمسرح أحد كفايات لوبي دي فيجا ؛ فقد كان شاعراً وجندياً وقساً ، وباحثاً ، وقد كان أيضاً شريداً وخليعاً وبهلواناً ؛ وقد خدم في حملة « الارمادا » الشهيرة التي جردت على انكلترا ، وقضى معظم وقته على ظهر السفينة يقرض الشعر . وقد هذب المسرح الاسباني ووهبه أثمن تراث وأجله

غرفة الكتب

من الأنظمة الغريبة التي أنشئت في روسيا السوفيتية إدارة تسمى « غرفة الكتاب المركزية » فلا يصدر في روسيا السوفيتية وجميع الجمهوريات الملحقة بها كتاب أو مجلة أو جريدة لا تسجل

فى هذه الادارة ، وقد أصدرت الحكومة قانوناً يحتم على الناشر أن يقدم اليها خمسين نسخة من الكتاب أو الصحيفة التى ينشرها ، وتستخدم الغرفة المركزية من هذا العدد خمس نسخ لاجراء المبادلة الدولية فى الكتب التى تصدر فى الدول الأخرى ثم تدرس كل كتاب أو صحيفة من الوجهة الفهرسية ، وتصدر عن ذلك مجموعات دورية مصنفة حسب أنواع الفنون والعلوم ، وقد بلغت فهارس هذه الغرفة حتى اليوم نحو ستين ألف مجلد ، وفى وسع المعاهد العلمية والمكاتب العامة وكذلك الأفراد أن ينتفعوا بمحتوياتها النفيسة

الذكرى المئوية لوزارة المعارف

تألفت لجنة برياسة صاحب السعادة وزير المعارف العمومية وعضوية كل من وكيل الوزارة ، ومدير الجامعة المصرية ، ومرقص سميكة باشا ، وأمين سامى باشا ، ومحمد أسعد براده بك ، ومحمد خالد حسنين بك ، وابراهيم درويش بك ، ومحمد نصار بك ، والأستاذ خليل مطران لتحضير ما يلزم للاحتفال بالذكرى المئوية لانشاء ديوان المعارف التى تقع فى غضون شهر فبراير سنة ١٩٣٧ ووضع كتاب ذهبى تستعرض فيه سياسة التعليم ونظمه المختلفة فى مصر منذ العصور الأولى

النشيد القومى الرسمى

أصدر حضرة صاحب السعادة الأستاذ أحمد نجيب الهلالى بك وزير المعارف القرار التالى :

نظراً لما للأناشيد القومية من الأثر القوى فى إظهار جلال الأمة ، والتنويه بعظمتها ، وإيقاظ شعور الشعب حين يتناشدها ، والحاجة إلى نشيد من هذا النوع باق فى المناسبات القومية والدولية ، أسوة بالدول المتحضرة

وبما أنه لا يوجد لمصر فى الوقت الحاضر نشيد قوى معترف به رسمياً مما تتعين معه المبادرة لسد هذا النقص بتشكيل هيئة يعهد إليها وضع شروط مباراة عامة لاختيار نشيد يحقق أغراض الأناشيد القومية أصدرنا القرار الآتى :

المادة الأولى — تشكل لجنة من :

حضرة صاحب العزة أحمد لطفى السيد بك مدير الجامعة المصرية رئيساً

حضرات : الأستاذ خليل مطران ، الأستاذ على الجارم المفتش بالوزارة ، الدكتور محمود أحمد الحفنى مفتش الموسيقى بالوزارة ، عبد الله سلامة أفندى مفتش التربية البدنية بالوزارة ، أعضاء

المادة الثانية — تكون مهمة هذه اللجنة وضع شروط مباراة عامة بين الشعراء والموسيقيين لنظم وتلحين نشيد قوى يكون صالحاً للاعتراف به رسمياً

المادة الثالثة — تعين جوائز مالية تمنح على الوجه الآتى :

« ا » ٥٠ جنيهاً مصرياً يمنحها الفائز الأول فى نظم النشيد الذى يعترف به رسمياً

« ب » ٣٠ جنيهاً مصرياً يمنحها الفائز الثانى

« حـ » ٢٠ جنيهاً مصرياً يمنحها الفائز الثالث

« ى » ٥٠ جنيهاً مصرياً يمنحها الفائز الأول فى تلحين النشيد الذى يعترف به رسمياً

« هـ » ٣٠ جنيها مصريا يمنحها الفائز الثانى

« و » ٢٠ جنيها يمنحها الفائز الثالث

المادة الرابعة — على وكيل الوزارة تنفيذ هذا القرار



الجبل الملهم

La Montagne inspirée

لناظمه الشاعر اللبناني « شارل القرم »

للأستاذ خليل هنداوي

ألفتُ ألا أكتب عن كتاب إلا بعد ركود الضجة التي تقوم حوله ، سواء عنـدي أكانت ضجة استحسان أم ضجة استهجان ، ثقة مني بأن النسمة الهادئة تكن ما لا تكن الريح العاتيـة . والآن وقد هدأت الضجة حول ديوان الجبل الملهم ، وقرّ ضمير صاحبه بعد أن أحرز على جائزة « ادغاربو » الفرنسية ، واطمأن وجـدانه للحفلة الرائعة التي سيخطب فيها أدباء لبنان ، مرحبين بشاعر تغنى بجمال لبنان ؛ وخلاصـة تلك الضجة التي قامت والتي ستقوم عبارات ثناء بدون كيـل ، وجمل ولاء بلا وزن ، ترفع « شارل القرم » إلى ذروة دونها القرى التي تغنى بها وتحدث بجمالها ، وكيف لا يرفع النبوغ أصحابه في بلاد يعرف أهلها معنى النبوغ ويرعون حق النبوغ ويقدرون قدر النبوغ ؟

تناولت ديوان « الجبل الملهم » من بين دواوين كلها عيون رانيـة إلى ، يستنجز أصحابها مني وعداً بالكتابة عنها ، فآثرت الالتذاذ بديوان يحدثني – في الصيف – عن الجبل الملهم ، فأهملت من هم أدنى إليّ وعكفت على الجبل الملهم أتلوه بشوق وغبطة ولذة . وقد شغلت نفسي بتأمل الأمثلة الفنية فيه ، كاملة هنا متوسطة هنالك ناقصة هنالك ، وأنا برغم هذا التفاوت في مراحله لم أدع لغبطتي مجالاً لهزيمة

هنالك أجزاء متفككة عملت على وصلها بخيالي ، وهنالك اضطراب كثير في ألحان بعض الأوزان التي جاءت كثرة تنوعها زيادة في التشويش ، فلا تكاد تهدأ الأذن إلى لحن حتى يطلع لحن آخر تنبو عنه . فملت ذلك إلى نقص في الكفاءة الفنية التي تحتاج إلى تمرين كبير ، وهنالك بعض تشابيه تمجها آذان أهـل البـلاد أنفسهم ، لأنها لا تمازج روح لغتهم ، ولا توائم نفس عبقريتهم ، كتشبيه الشمس « بصابون السحاب » ؛ وهنالك ضياع المثل الأعلى الذي يتبعه الشاعر بحيرة ، يتبعه بقلب موزع مضطرب ، فلا يدرك ما هو هذا المثل ولا يدري أين يجده . لا يعتمد على عقله ولا يثق بروحه . يحارب بعض التقاليد ويؤمن ببعضها إيماناً أعمى : يتطرف في كل شيء يحبه أو ينفر منه . كأنما قلبه لا يغلب عليه اعتدال ولا استقرار

هـذه بعض صفات تطالعك من الديوان وددتُ أن أتوسع فيها توسعاً فنياً ، ووددتُ أن يكون بحثي متعلقاً بها ، وقفاً عليها ، لولا ظاهرة خطرة غريبة كامنـة في احدى الثنايا ، ما وقعتُ عليها حتى ارتعشتُ وعاودني ألم عنيف وشـك في المستقبل . فتركت تلك التعليقات الفنية التي تتعلق بأصحابها وجابهت هذه الظاهرة الاجتماعية التي لها خطرها في حياتنا وبيئتنا وقوميتنا

تلوت هذه الأبيات التي يتحدث بها عن اللغة العربية :

« إننا ننطق اليوم لغة جاءت من آسيا
قد فرضها علينا القتل والرعب
وباطلاً نضع فيها الفن والشعر
والعلم والايمان » !
« إننا لن ننظر إلى العربية
نظرنا إلى أخ يُدعى إلى منزل أبيه
إن هذه الزهرة الصحراوية قد تقبلتها حدائقنا
تحت ضغط حكومة قاسية »
« قبلناها وهذبناها
وأدعمناها باعتنائنا الشديد

ولكن الاسلام لا يرضى بأن تكون هـذه اللغة المرفوعة على جباهنا — لنا »

« إن هذه الكلمات الغريبة « اللغة السريانية » التي يتلقنها أبناؤنا
لم تكن يوماً غريبة عنا

بل يكاد يخيل إلينا أن قلوبنا
تذكر يوماً نحتها فيه »
« ولكن هؤلاء الذين يجحدون أصلنا اللاصق بنا . . .[1]
هؤلاء المنفصلين عنا ، المـلوخين من أذرعنا
الأغنياء بالنفى . . .
هؤلاء يحتقرون أصلهم . كما يفعل الأعزاء العاقون الناكرون
الاحسان »

تلوت هذه الفقرات وأنا أكذب نفسي وأتهمها . أحقاً أرى صاحب الجبل الملهم يتنصل من اللغة العربية ، ويعتبرها زهرة غريبة نبتت طفيلية فى حدائق لبنان ؟ أحقاً يرى صاحب الجبل الملهم أن هذه اللغة قد فرضت على أهل لبنان بالسيف والدم ؟ فاذا كان الشاعر لم يكتب له نصيب ولا سهم فى هذه اللغة لا فى نطق ولا كتابة ، فما له يعمل على التنكر منها وضربها فى الصميم ! وما بال أصحابنا اللبنانيين يشايعونه على هذا . وهم علموا ما للعربية من فضل ومآثر . وعلموا أن الاسلام لم يفرضها عليهم بالقتل والضرب . وإنما فرضت نفسها وعملت على فرض نفسها . ومتى كانت اللغات تلين لارادات الأفراد ؟ وهل السريانية أخت العربية لو كان فى أجلها فسحة تذوقت رداها ؟ وماذا فى السريانية من أدب وفن يتعلق بأحشاء لبنان ، ويصطبغ بدم لبنان ؟

وأما أن الشاعر لا يريد الكتابة بالعربية لأنه لا يراها جديرة بأن تكون وعاء حكمته وفنه وشعره ، فهل عجزت اللغة عن ضم شتات أفكاره ؟ وهى التى لم تعجز ولن تعجز عن أفكار من كان لهم شأنهم وخطرهم ، إلا أن تكون أفكاره مما لا تحيل به العقول . ولكن هو الشنآن

كنا نريد أيها الشاعر وأنت لا تنطق بهذه اللغة أن تحترم على الأقل كيانها ، ولا تدس عليها دساً يسخر منه الأجانب أنفسهم . كنا نريد أن يكون لك بأدباء المهجر أسوة حسنة : أولئك الأدباء الذين اصطلحت عليهم عوامل الغربة والانقطاع . وظلوا واعين للغتهم حافظين لحرمتها عاملين على رفع ألويتها . وقد علت منهم الجيد السباق فى لغته واللغة الأجنبية التى اصطنعها . كجبران ونعيمة والريحانى وكثير من أمثال هؤلاء فى المهجر وغير المهجر ممن تفتحت لهم من الآفاق ما تفتح لك ، ولان لهم من عبقرية غيرهم ما لان لك

وأما أن الشاعر يود العودة الى إحياء الروح الأولى وهى الروح الفينيقية ، شأن المصرية الفرعونية . فالمصريون الفرعونيون أنفسهم لم يفكروا يوماً فى نفى اللغة العربية من بين ظهرانيهم ، ولم يجدوا فى بقاء العربية ما يحول بينهم وبين التمصر الذى أرادوه

اضطراب - فى لبنان - فى المثل العليا والتفكير ، واختلاف فى الثقافة والمنحى . كأنما بيئة تفككت أجزاؤها وانطوى كل جزء على نفسه بدون وحدة منتظمة ولا جامعة ملتئمة . كل حزب يمشى ولا يدرى أين يمشى وأى هدف يقصد

وحدوا يا قوم تفكيركم واعرفوا ما تطلبون ، فاننا حتى اليوم لا ندرى مثلكم الأعلى ولا ندرى أى منهج تقصدون ؛ وأنقذوا لبنان قبل أن تقتله عبثكم ، فالمحبة المنقسمة على نفسها هى أشد خطراً من الكره والنفور . وليكن لكم مثل أعلى تحجون إليه وتعملون على إظهاره فى بيوتكم ومدارسكم ، وفى مجامع جدكم ولهوكم ، ينشأ عليه صغاركم ويشب عليه فتيانكم

أما أولئك الذين ينتظرون أن يهيموا غداً فى الحفلة التكريمية لصاحب الجبل الملهم ، أينظرون أى اكليل يحمله اليهم ، وأى اكليل يحملونه اليه ؟ اكليله لهم اكليل احتقار اللغة العربية ، واكليلهم له مبايعته على ذلك . اكليله « قبلات لبنانية على شفاه اللغة الفرنسية »[1] ، واكليلهم الدعاء لمحب لبنان ورافع جبهة لبنان والمبشر بنبوغ لبنان . أحبوك يا لبنان وادعوا محبتك لأنفسهم حتى خنقوك بالأقماط وأدرجوك بالأكفان !

لبنان الذى يشبه اليوم « برج بابل » بأديانه ولهجاته ومذاهبه ، لا يوحد بين أجزائه إلا هذه العربية ، وإنما توحد بينها توحيداً تقليدياً لا يعمل على الايمان به قلب ولا يؤمن به دم . فاذا انهارت هذه السارية التى تتحد عليها أجزاء لبنان تعم الفوضى داره ويفشو فيه روح التمزق . وأصحابنا بعد هذا كله يريدون أن يجمع بينهم هذا النشيد : « كلنا للوطن . . . كلنا للعلا . . . كلنا للعلم » .

وقد علم العلم والعلا والوطن أن لا مكان لهم فى المكان الذى تتقلص فيه اللغة ولا يُحترم لها كيان ، وتُهان فلا يهب لنصرتها أعوان تفرقوا ماالسطتم فى ثقافتكم ومثلكم ، فما أشبه الليلة بالبارحة

خليل هنداوى

(١) من هم هؤلاء ؟

(١) إشارة إلى البيت الذى ختم به الشاعر ديوانه